حاسب
٢٢١٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

٢١٩٤
س م ش

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلاميه
كلية الدعوه والاعلام
قسم الدراسات العليا

الإمام سعيد بن المسيّب

حياته ـ علمه ـ دوره في الدعوه

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير

مقدم من الباحث

محمد بن غرم بن عبد الله الشهري

اشراف الدكتور

عبد الخالق إبراهيم إسماعيل

الرياض

عام ١٤٠٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

** — تمهيد :—

سعيد بن المسيّب بن حزن المخزومي القرشي المدني امام التابعين وعلم من أعلام الفكر الاسلامي ، له أقوال مأثوره تدل على ما كان عليه من العلم والفكر والتدين وقوة الإيمان واليقين والصلابة في الرأى وحسن الدراية والحكمة .

فقد روى عنه بعض الأقوال التي تفيض بالحكمه وسداد الفكر ومنها قوله : ((لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمه ، الاّ بانكار من قلوبكم لكيلا تحيط أعمالكم الصالحه)) .

وقال : من أستغنى بالله أفتقر الناس اليه .

وقال : يد الله فوق عباده فمن رفع نفسه وضعه الله ، ومن وضعها رفعه الله ، الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم ، فاذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه ، فبدت للناس عورته .

وقال : لا خير فيمن لا يحب هذا المال ؛ يصل به رحمه ؛ ويؤدى به أمانته ؛ ويستغني به عن خلق ربه ؛ ولا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله ، يعطي منه حقه ، ويكف به وجهه عن الناس .

وقال : الدنيا نذلة ، وهي الى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها من غير وجهها ، ووضعها في غير سبيلها .

وقال : انه ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل الاّ وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغى ان تذكر عيوبه ، ممن كان فضله أكثر من نقصه ، وَهَبَ نقصه لفضله .

وقال : ما يئس الشيطان من شيء ، الآ آتاه من قبل النساء .

وقال : لا تقولَنَّ مصيحف ، ولا مسيجد : ولكن عظموا ما عظم الله ، فكل ما عظم اللهُ فهو عظيم حسن .

وقال : لمن كان يظن أن الصلاح في الملبس والمظهر " أصلح قلبك وألبس ما شئت ".

وحصد معني العباده الحقه بقوله : انما العبادة : التفكير في أمر الله والكف عن محارم الله .

ومن الجدير بالذكر أن عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة طلب من كان عنده أن يفتحوا الأبواب فسمع صوت قصّاراً (١) بالوادي فقال : ياليتني كنت قصّاراً اعيش من عمل يدى ، فلما بلغ ذلك القول : سعيد بن المسيّب قال : الحمد لله الذى جعلهم عند موتهم ، يغرون الينا ولا نغر اليهم .

ذلك أن الامام سعيد بن المسيّب كان يعيش من كسب يده ويرفض كل العطايا والهبات التي كانت ترسل اليه وحتى ما كان يقدم له من بيت مال المسلمين كحق له يرفض ذلك كله لقناعته بأن العيش من عمل الانسان أفضل وأصح لموافقته لمبادئ الدين وتعاليمه .

ولعلم سعيد بن المسيّب بأنه ليس فيه أحد معصوم من الخطأ والزلل عدا المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لذلك كان يكثر أن يقول :

((اللهم سلّمْ سلّمْ)).(٢)

---

(١) ـ القصّار : هو محور الثياب وبيضها ، أنظر : أعلام المسلمين سعيد بن المسيّب سيد التابعين ، ص ٦٢ .

(٢) ـ وردت هذه الأقوال في : البدايه والنهايه : ٩/ ١٠٠ ، طبقات الشعراني ١/ ٣٠ ، حلية الأولياء : ٢/ ١٦٦ و ١٧٣ ، طبقات بن سعد : ٥/ ١٣٧ و ١٣٥ .

وهذه الأقوال تعتبر نذراً يسيراً من المعرفه الخصبه والدراية الواسعه بتعاليم الاسلام وحكمه ، فقد كانت أثاره وأقواله ومواعظه تفوق الحصر فهو الذى عرف قيمة الحياة فأعطاها من وقته وجهده ما تستحق وهو القليل ، وعرف الآخرة وبأنها دار القرار فصرف لها جلّ وقته وفكره وماله ، وعرف مال دينه وأمته عليه فقام بدوره تجاه ذلك ، وتحمل في سبيله الأذى والأمتحان احتساباً عند العلي القدير .

وعرف قبل هذا كله حق ربه ومولاه عليه فأخلص له في القول والعمل فكان العابد الورع الزاهد الآ فيما عند الله الغني الحميد .

==========

((المقدمـــــه))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم الناسّ الخير وعلى آلـــــه وصحبـــه ومن تمسك بهديه وسار على منهاجه الى يوم الدين .

وبعد : ففي الوقت الحاضر نجد أن الأمة الاسلاميه قد أنغمست في حياة الماديات وتأثرت بصور الحضاره المعاصره وما تحمله من معاول الهدم والضيـــاع في حين غفلت هذه الأمة وتقاعست عن أسمىٰ الأعمال وأفضلها من الدعوة الى دين الله والجهاد في سبيله لإعلاء كلمته ، ونشر الفضيلة بين الناس وتعليمهم الخير المتضمن لنشر الإسلام ورسالته الساميّه ، بينما كانت الدعوة الى الله من أجلّ الاعمال التي تتوق اليها نفس المؤمن الحق بشغفٍ ولهفه ، فكان سلف هذه الأمة قد حمل مسئوليةَ الدعوة الى خير الاسلام وعدله وما فيه من مبادئ وتعاليم إلهيه فنشروها بين الناس ليقودهم الى الحق والعدل ويوجهوهم وجهة الطريق المستقيم ، ولذلك كانت الأمةُ بحق خير أمة أخرجت للناس لكونها تأمر بالمعروف وتفعله ، وتنهى عن المنكر وتتجافىٰ عنه وتؤمن بالله وحده قال اللهُ تعالىٰ : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " (١) ولهذا فإن أمةً هذه رسالتها وهدفها في الحياة أهلاً لتلك الخيريه ، ولقد بقيت الدعوة الاسلامية في عصورها الذهبية إن جاز التعبير لا تعرف غير المد والإنطلاق في شتىٰ أنحاء المعموره تحملها نفوسٌ سعيدة بالإسلام مؤمنة به ، ولا تعرف غاية أو هدف يصدها غير نشر الاسلام بالجهاد والدعوه وبقي هذا الخط تترسمه الأجيال لنفسها وتسير عليه الى أن جاءت

---

(١) — سورة آل عمران أية " ١١٠ " .

الأجيال المعاصره فحادت عن طريق السلف الصالح ، فأبتعدت عن تعاليم الدين ومبادئه الساميه وتخلت عن الدعوة فأصابها : الجمود والتقوقع والانكماش ، ودخلتها التيارات والمبادئ الهدامه التي تغلغلت في معظم المجتمعات الاسلاميه وأصبح الناس في هذه المجتمعات معظمهم متسمون بالاسلام وهم في الحقيقه امـا عالمين بالاسلام غير عاملين به أولا يعرفون من الإسلام الاّ الإسم ، وصار إسلامهم يتسم بالبرود والإستسلام للأهواء والقناعة بالدنيا وغايتها الدّنيه والاعراض عن معالي الأمور والعمل لدار الخلود ، وتلمس سيرة السلف الصالح ، بل ان الأمة قد أبتعدت عن دين الفطره في وضوحه وصفاءه وأستسلمت للتيارات والدعوات المضله والخنوع لها فأقصت المسلمين عن أحسن الأعمال والأقوال وهي الدعوه الى الله ، وصدق الله القائل : " ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ".(١)

ولكن حال المسلمين اليوم يدل على أنهم لم يلتزموا بما أشارت اليه هذه الآية الكريمة من الدعوة الى الله والعمل الصالح ولذلك أهتم المسلمون بالدعوات البراقه فأنصرفوا الى الأنبهار بمظاهر الحضارة الماديه الحديثه وبقدر هذا الاهتمام تلاشت غيرتهم وأهتمامهم أتجاه دينهم وسيرة نبيهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتاريخ سلفهم الصالح من الصحابة ـ رضي اللهُ عنهم ـ والتابعين لهم بأحسان .

من رجال الاسلام الذين سطر التاريخ سيرتهم ومواقفهم النبيله بأحرف من نور عرفاناً بصبرهم وجهادهم للدفاع عن الحق وإعلاء كلمة الله وقيامهم بترسيخ مبادئ الإسلام وتعاليمه في نفوس وضمائر الأجيال التالية لهم .

---

(١) ـ سورة آل عمران آية : " ١٠٤ ".

واليـــوم نرى أن شـــخصية الأمـــة وثقافتهـــا الإسلاميه ، وتاريخهـــا العريق قـد ذابت في غيرهـــا من أمـــم الشـــرق والغـــرب لمـــا دخلهـــا من التيارات والمبادئ الهدامـه ، في حـــين غفـل المســلمون في غمـــرة الأحـــداث التى مـــروا بهـــا عبر تيـار النهضـه المادية الحديثـه ، وما جرّتـه على الأمـــة من العـزوف والاعراض عن تلمـس تاريخهـــا المجيـد وسـيرة سـلفها الصـالح .

من هنا يعـــود بنـا الحنـــين والشـوق الى محـاولة التعرف على ســـيرة رجـــل من رجـــال الاسـلام الذين صدقـوا مع اللـه فنصـرهم وأيدهـم فكانوا بحـق منـارات يســتضيء بهـا السارون في الليـالي الحوالك ، فأصبحـــوا روادا في العلم والفكـــر والمعـــرفه وأقامـــوا صرحا عتيداً للعلم والفقـه والاُجتهاد .

لذا كان لا بد لي من أختيـار موضـوع البحث عن عَلَـمَ من أعلام التاريخ الإسلامي : أَلا وهو الإمـام ((سـعيد بن المسـيّب)) والتي أجمعـت الأجيال من قبلـه وفـي عصـره وبعـده على تقديـره وسـعة علمـه وخصـوبة معرفتـه وورعـه وتدينـه ، وتقدمـه على علمـاء عصـره ، فكانت تهـرع اليـه الوفـود من كل الأمصار الاسلاميه الى حلقته لتنهـل من علمـه وتلتمـس عنـده الحل فيمـا يعترضهـا من القضـايا والمسائل .

ولقـد تميز ابن المسيّب على فقهاء عصـره بالجـرأة في الفتيا ، فقد كانت تأتي المسـأله الى العلمـاء ، فيتدفعوها حتى تصل الى الامام سـعيد فيفتي فيهـــا ، وهذه الجـرأة ليست غريبـه عليـه لما يحملـه من غزاره في العلـم ، فقـد كان بحـــق أعلـم أهـل زمـانـه ، وشـيخ الإسـلام ، وفقيـه الفقهـاء كإمام للتابعين والمشـهود لـــه بجـلال المنزلـه والتقـوى والورع والعفـه عمّـا في أيدى النـاس ، أوقـف نفسـه ومـاله في سـبيل الاسـلام تعلماً وتعليماً والدفـاع عنـه ضد من يمـس شـيئا مـــن

مبادئه وتعاليمه ، فبرع في العلوم والفنون الاسلاميه حتي كان رائداً فيها فملك زمام ناصية التفسير وعلومه ، ورواية الحديث النبوى الشريف ، والفقه والاجتهاد ، وألم بآثار الصحابة وأقضيتهم ، عُرف عنه التسامح والعفو ودماثة الخلق والقناعه ، والصلابة في قول الحق دون خوف من سطوه حاكم متغترس أو ظلم والي ، وقد أُمتحن وأوذي في سبيل اعلاء كلمة الله والتمسك بسنة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وسيرة خلفائه الراشدين - رضيَ الله عنهم - فصبر وأحتسب ذلك عند العزيز الحكيم ، كان فكره ونصائحه البليغه بمثابة النور الذى يحتاجه الناسُ ليبصروا به الغاية من خلقهم ، وليستكشفوا نهاية الطريق الذى يجتمعون فيه يوم العرض والحساب عند الحي القيوم .

ولهذا فان غيرة المؤمن وحبه لمعرفة سيرة هذا الرجل والتقصي لأستطلاع أثاره وأراءه لا سيما اذا كانت معرفه أثار وأراء رجال الفكر والأدب من كبار الفقهاء والعلماء وأخذ العبرة من حياتهم أهم من معرفه تاريخ رجال السياسه والحكم .

ولقد كان من سوء الحظ أن الإمام سعيد بن المسيِّب قد عاش في عصر لم يكن قد تمَّ القيام بتدوين العلوم وتسجيلها حيث كان العلم يحفظ في الصدور بعد سماعه ويندفن هذا العلم بمجرد أن يفارق حامله الحياة ، وعلى الرغم من هذا فقد وصلتنا كثير من أراء سعيد وأثاره العلميه وقد يكون الكثير من علمه وأثاره قد حجب عنّا بسبب ظروف عصره الآنفه الذكر ، مع هذا فقد كان لظروف العصر والمكان الأثر العظيم في تكوينه العلمي فالبيئة العلميه وعصره الذى تداخل في عصر الصحابة — رضوان الله عليهم — قد انعكس هذا

بأثر ايجابي على نضوج شخصية ابن المسيّب وقوة ايمانه وتدينه ، مما مكنه من القيام بدوره نحو دينه وأمته مع ما تحمل في سبيل ذلك من المصاعب والمشاق حتى كان ممن صدق عليهم قول الله تعالى : " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بأحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم " . (١)

وقول الله عز وجلّ : " والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا أنك رؤوف رحيم " . (٢)

ولأنه قد ثبت لنا تاريخيا بأن أبن المسيّب ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ وأمتدت حياته حتى توفي سنة ((٩٤ هـ)) على أرجح الروايات التاريخيه ، لهذا فهو قد عاش في القرن الذي شهد له الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالخيريه فقال : ((خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق أيمانهم شهادتهم ، ويشهدون قبل أن يشتشهدوا)). (٣)

ومع أن البحث حول شخصية أبن المسيّب ومناقبه ومأثره العلميه **تجعل** الباحث أمام شخصية فذه تناولها المؤرخون والباحثون قديماً وحديثاً ، الاّ انني قد وجدت أغلب التراجم والكتب التاريخيه التي تضمنت تاريخ حياته كان يغلب عليها طابع السرد التاريخي والتطابق في رواية سيرته ومآثره دون الألتزام بالتحليل العلمي والمناقشه الموضوعيه .

---

(١) ــ سورة التوبه ، آيه : " ١٠٠ " .
(٢) ــ سورة الحشر ، آيه : " ١٠ " .
(٣) ــ رواه احمد في مسنده والبخاري ومسلم والترمذي عن أبن مسعود ــ رضي الله عنه ــ .

وهذا كان بالنسبة للكتب القديمة التي ذكرت سيرته ضمن موضوعاتها ، وفي نفس الوقت فأنني قد وجدت آثار الامام سعيد بن المسيّب العلميه وأقواله متناثره في بعض كتب التفسير والحديث والفقه التي أطلعت عليها أثناء البحث في دعوته وعلمه .

وهذا يدل على أن علم أبن المسيّب ومآثره لا زالت تحتاج إلي من يبرز تاريخ شخصيته كعلم من أعلام السلف الصالح فيجمع علمه الغزير وآثاره وأقواله ومواقفه المتناثره في أمهات التراجم والكتب الاسلاميه .

وقد كان يجب أن تلقى سيرة رجال السلف الصالح وآثارهم ، وعلى رأسهم سعيد بن المسيّب شيئاً من العناية والأهتمام من العلماء وطلبة العلم في الجامعات الاسلاميه ، لأن سيرة علماء السلف ومواقفهم تعتبر صورة ناطقه بحال العصر الذى عاشوا فيه .

وسيرة أبن المسيّب خاصة جديرة بالبحث والتحليل ومع هذا فأنني لم أجد فيما اطلعت عليه أحد من الباحثين المعاصرين قد أعطىٰ هذه الشخصية حقها غير ما قام به الدكتور / هاشم جميل عبد الله من تدوين لفقه الامام سعيد في أربعة أجزاء ، كما ألف عن سيرته الدكتور / وهبه الزحيلي في سلسلة أعلام المسلمين كتاب صغير الحجم بعنوان " سعيد بن المسيّب سيد التابعين " .

وهذه الجهود في نظري أقل بكثير مما يجب أن يكون لهذا العالم الكبير والمفكر الفذ ، فسيرته وآثاره العلميه ومواقفه تُعَدُّ كنز ثمين لتراث الاسلام الذي يجب على الأمة استلهامه وأستنطاقه في حياة أجيالها الحاضرة والمستقبله ولأن تاريخ أبن المسيّب وعلمه ومواقفه تعتبر مرآة عاكسة لتاريخ العصر الذي عاش فيه بجوانبه العلمية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية .

أما منهج البحث فكان أستعراض لجانب من حياة الإمام سعيد بن المسيّب في ضوء مبادئ الإسلام مع بعض المقارنه والتحليل والإبتعاد ما أمكن عن أسلوب الاستطراد التاريخي والتقليل من النقول عملاً بتوجيهات المشرف على البحث .

مع أن البحث في الشخصيات التاريخيه يغلب عليه الطابع التاريخي ، وأكثر ما ركزت عليه تمحيص الروايات المتعارضه وتقرير الراجح منها ، والحق أن تراث الأمة وتاريخ سلفها الصالح يجب أن تهتم به وتوليه العناية الفائقه التي تمكن المسلمين من استنطاق سيرة رجال الإسلام وأثارهم العلميه وأستلهام هذا التراث وذلك التاريخ الخالد ، الذي كان منبعه هو الإسلام بصفائه وسماحته ، والذي عنه يعرف الرجال وأبن المسيّب كان في مقدمة من عرفوا بالإسلام ، فقد كان شديد الحرص على تعاليم الدين الحنيف وأستلهام سنه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأستنطاق أثار الصحابه الكرام ـ رضيَ اللهُ عنهم ـ ولذلك بقيت سيرة سعيد بن المسيّب وتاريخ حياته المليء بالمواقف النبيله ، وما كابده من الأذى في سبيل الدفاع عن الاسلام وتعاليمه حجة على الأجيال الحاضره لتترسم خطاه وتقدم للإسلام ولو جزء يسير مما قدمه له لا سيما من كان قد تخصص في الدعوة الاسلاميه وعلومها عليه أن يتخذ من سيرة هذا الرجل وكفاحه وما تعرض له من الأذى والامتحان في سبيل الدعوه والوقوف في صلابة لا تعرف اللين والمهادنه في وجه كل من يحارب تعاليم الاسلام من الحكام أو من العامه ، وحريّا بنا نحن طلبه كلية الدعوة والاعلام وقد نصبنا أنفسنا لنكون دعاة ان شاء الله . أن نرى في الإمام سعيد بن المسيّب قدوة حسنه لنا ، في صبره وزهده وقناعته وعفته عمّا في أيدي الناس ، والأهم من هذا غزارة علمه ومعارفه وحرصه الشديد

على التمسك بسنه الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، وكذلك صلابته في قول كلمة الحق دونما خوف أو جل ، ومن أجل هذا نراه يرفض أعطيات الحكام وهباتهم حتى ما كان يقدم له من بيت مال المسلمين يرفضه وهو حق له ، فحرى بمن أراد أن يهب نفسه لهذا العمل الجليل وهو الدعوه الى الله أن يكون لديه السلاح القوي الذى كان يحمله أبن المسيّب وغيره من السلف الصالح من الإيمان الصادق وقوة اليقين يصدق ما يدعون اليه ، والأهتمام بالدين وعبادة الله ، والتجافي عن حياة الغرور الصاخبة بالأهواء والماديات والشهوات الجارفه للعبد عن المهمة التي خلقه الله من أجلها وهي عبادة الله وحدة عملا بقوله تعالىٰ : " وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون ". (١)

ولا يكفي استظهار شخصية هذا الرجل أو التعرف على سيرته فحسب اذ يجب أن يستلهمها الدعاة الى الله ويستنطقونها في واقعهم وما يقومون به من اصلاح ودعوة خاصة اذا كان الامام سعيد بن المسيّب وغيره من فقهاء عصره يمثلون الطبقة الأولى من التابعين والذين يربطون بين عصرين متمايزين ، عصر الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — وصحابة الكرام — رضي الله عنهم . وعصر المذاهب الفقهية الأربعه ، فالتعرف على طبقه التابعين وأستلهام أثارها والأهتمام بهذا التراث لكونه يمثل الأصل والأساس لنشوء مدرسة أهل الحديث في المدينه المنوره ومدرسة أهل الرأى في الكوفه بالعراق وعن تلك المدرستين نشأت المذاهب الفقهيه الأربعه التي هي في الواقع مذهب أهل السنة والجماعه .

أما خطة البحث والعرض لشخصية أبن المسيّب وعلمه ودعوته ، فقد ضمنتها فصولا ثلاثه وخاتمه على النحو التالى :—

---

(١) — سورة الذاريات ، الآيه : " ٥٦ ".

الفصل الأول : أحـــوال عصـــره

وذكرت فيه :

الحـاله السياسـية ، والحـاله الأقتصـاديـة ، والحـاله الاجتماعية .

الفصل الثاني : حيـاتـه وشخصيتـه

أولا : حياتـه وذكرت فيهـــا : نسـبه ونشأتـه ، ولادتـه ووفاتـه .

ثانيـا : شخصيتـه : وذكرت فيـه : عبادتـه وأخلاقـه ومظهره وزهـده ، وطلبـه للعلـم ، وموارد رزقـه ، ورأيـه في الفقـر والغني .....

الفصل الثالث : دوره في الدعـوه

وذكرت فيـه :

منهجـه الاجتهادى ، مجالسه العلميه ، العلوم التي كان لـه أثر فيهـا علـــــوم القرآن الكريـم ، علـم القـراءات ، علـم التفسـير ، الناسخ والمنسـوخ .

وذكرت دوره في روايـة الحديث النبـوى ، مسـندا ، ومرسـلا ، ورأيـه في حديث الآحـاد ، وذكرت دوره في الفقه والاجتهاد ، ودوره في علـم الأنسـاب ، وفتيـــاه ، ودعـوتـه وأحتسـابـه ، تفسـيره للـــرؤيـا ، ثباتـه علـى الحـق ، مواقفـه السياسية ، صلابتـه ، ومحنتـــه ، وشهادة أهـل العلم فيـه .

والخاتمـــــــــــه :

وقـد ذكـرت فيها أهم نتائج البحث وما تطرقت اليـه :

هذا وأختم هذه المقدمـه : بالدعاء الى اللـه أن يلهم طلبـة العلم ورجـــال الدعـوه الايمان الصـادق والعمل الجاد المثمـر وأن يأخـذ بأيدينـا لما فيـه رفعـة الاسـلام ونصرة المسلمين وأسـأل اللـه مخلصـا أن يوفـق العلماء الأفاضل في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وعلى رأسهم معالي : مدير الجامعـة تلك الجامعة التي حملت على عاتقهـــــا

مسئوليه خدمة الاسلام وعلومه من خلال تعليمه ونشره بين أبناء المسلمين الذين يأتون للتعلم من شتى الاقطار الاسلاميه .

كما أن هذه الجامعه قد عنت بخدمة الاسلام في مجال الدعوة الاسلاميه ، وخير من يمثل الجامعة في هذا كلية الدعوة والإعلام التي كان من أهدافها تخريج الدعاة المتخصصين والإعلاميين الذين يخدمون الاسلام كل في مجاله ، لهذا فأنني أشكر أساتذة هذه الكليه من أصحاب الفضيله الذين قدموا لنا طوال السنتين التى عشناها بالكليه للتحصيل والتعلم خلاصة فكرهم ومحض خبرتهم في مجال الدعوة الاسلاميه .

كما أشكر فضيلة عميد الكلية الذي كان لا يألوا جهداً في توفير وتسهيل الجو العلمي لطلبة هذه الكليه الفتيه التي نرجو من الله أن يتحقق بسببها كلّما يهدف اليه المسؤلون في الجامعه .

وأخيراً فأنني أرفع لفضيلة المشرف على هذا البحث الدكتور / عبد الخالق إبراهيم إسماعيل جزيل الشكر والعرفان لما أمدني به من التوجية والرعاية التي كان لها الأثر العظيم في إخراج هذا البحث بهذه الصورة ، فقد كان لأفكاره وتجاربه الطويله في مضمار البحث العلمي الأثر الفعال الذي انعكس بايجابية على بحثي هذا .

وأدعو الله العلي القدير أن يسدد خطي العاملين المخلصين .

وأسأله سبحانه أن ينفعني وأخواني بسيرة هذا الرجل " سعيد بن المسيّب " .

والحمد لله رب العالمين))))))))

الفصل الأول

****

أحوال عصره

شبَّ الامام سعيد بن المسيّب امام التابعين في العصر الذى يبدأ من نهاية عهد الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي — رضي الله عنهم جميعا — وولاية معاوية بن أبي سفيان — رضي الله عنهما — وقيام الدولة الاموية سنة أحدى وأربعين ((٤١ هـ)) ، وقد أمتد عصر التابعين هذا الى أوائل القرن الثاني الهجري .

وعرف هذا العصر بعصر التابعين وهم الذين أدركوا الصحابة وأخذوا عنهم تعاليم الاسلام وبالتالي حملوه إلي الجيل الذى أتي بعدهم .

والمتأمل في عصر التابعين وبالذات كبار التابعين كسعيد بن المسيّب : الذى كان يفتي مع وجود كبار الصحابه كابن عمر — رضي الله عنهما — يجد أن عصر التابعين متداخل في عصر الصحابة ، لا سيما وقد عاشوا في القرن الأول الذى وصفه الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالخيريه والفضل ، فقال : " ان خيركم قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يكون قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن " (١)

وفوق هذا فقد أثنى الله تعالى على التابعين ، فقال تعالى :

" والذين أتبعوهم بأحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم " . (٢)

---

(١) — اخرجه البخارى ومسلم : عن عمران بن حصين — رضي الله عنه — .
(٢) — سورة التوبه ، الآيه : ١٠٠ .

ومعنى التابعين هم الذين ترسموا سلوك الصحابة وساروا على نهجهم في التمسك بالقرآن الكريم والسنه المطهره وأتباع سنه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وسيره الصحابة البرره والخلفاء الراشدين المهديين . (١)

وأخذوا العلم الصحيح عنهم والذي ورثوه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعمل بهذا العلم عملا بما أوصى به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام اذ قال :ـ

" اوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعه وأن تأمّر عليكم عبد حبشي فأنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنه الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وأيّاكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة " . (٢)

والحق أن سعيد بن المسيّب كان على رأس التابعين الذين استفادوا من علم الصحابه ، فقد وهبه اللّهُ من الذكاء والعلم الواسع وهداه الى العمل بهذا العلم فتحقق فيه قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : " من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم " . (٣)

ولقد عرف العصر الذى عاش فيه الامام : سعيد بن المسيّب عند مؤرخي التاريخ الاسلامي بالدور الثالث الذى بدأ فيه الاضطراب والفرقه والحروب الداخليه وتنازع الحق في السلطه والخلافة أربع قوى :ـ

الأمويون ، الزبيريون ، والخوارج ، والشيعه . (٤)

---

(١) ـ أنظر اعلام الموقعين : ٢٢٢/٢ بتصرف .
(٢) ـ رواه ابو داود والترمذى وقال : (حديث حسن صحيح عن ابي نجيح العرياض ابن ساريه ـ رضي الله عنه .
(٣) ـ رواه ابو نعيم : عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ .
(٤) ـ أنظر فقه " سعيد بن المسيّب " : ٩٨/١ .

وقد أثر هذا الأختلاف والأنقسام على الأمة الاسلامية سياسياً ، وأقتصادياً واجتماعياً مع التفاوت في درجات التأثر والأهتزاز الذى كاد أن يعصف بالمسلمين ويضعف الأمة في أعين الأمم المجاوره .

وبعد هذا التمهيد سنتناول تفصيل القول في الأحوال الثلاثه الرئيسيه التي كان لها الأثر العقوي في حياة الناس وهي الحالة السياسية ، والحاله الاقتصادية والحاله الاجتماعية .

==========

أولا : الحالة السياسية :-

تميز عصر الامام سعيد بن المسيّب بأنقسام الأمة الاسلامية وظهور الطوائف والفرق وحدوث الاضطرابات والفتن والحروب الداخلية .

وأفترقت الأمة سياسياً على ثلاث طوائف : هي :-

الخوارج ، والشيعه (١)، وجمهور معتدلين ، وزعم كل فريق صواب رأيه وعمل المستحيل على تعزيزه وذلك بتعضيد الأتجاه الذى خطه لنفسه ، فالخوارج مثلا : ظهروا بعد حادثة التحكيم بين الامام علي بن أبي طالب ومعاويه بن أبي سفيان - رضي اللّهُ عنهم -. (٢)

وكانت من أخطر الطوائف التي شقت عصا الطاعة على الامام وخرجت على جماعة المسلمين تحت شعار لا حكم الاّ الله وأعتبروا كل من رضي بالتحكيم كافرا ، وقد انقسم هؤلاء الخوارج - فيما بعد ذلك - الى عدة فرق ولكل طائفه آرائها التى كانت في الغالب متعارضه مع مبادئ الاسلام ، وقد لعبوا دورا كبيرا في ايقاد الفتن والاضطرابات في الأمة فأثروا عليها سياسيا وفكريا وعلميا ، وشنوا حروبا داخليه أستمرت حتي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الذى قضى على كل هذه الفتن وأستقامت له الأمور وأستتب الأمن . (٣)

أما طائفة الجمهور المعتدلين فقد أنقسموا الى فريقين أو طائفتين .

---

(١) - ومعلوما أن الشيعه هم الجماعة الذين بقيوا مع علي بعد حادثة التحكيم الا أنه بعد استشهاده ظهروا كطائفة لها اهداف سياسية رغم تشيعهم لأهل البيت.

(٢) - أنظر : تفصيل ذلك في تاريخ الطبرى : ٥/ ٥١ وما بعدها ، بتصرف .

(٣) - عن الخوارج ، انظر : الحور العين / ١٧١ وما بعدها ، الفرق الاسلاميه / ٤١ .

** ـ الفريق الأول :

وهم الجيش الذى بقي مع الامام علي بعد حادثة التحكيم ، ويلاحظ أنه قد برز الى حيز الوجود من هذا الجيش ما عرف بطائفة الشيعه التي كان قد أستغحل أمرها بعد استشهاد الامام علي ـ كرم الله وجه ـ فأنقسمت الى فرق عديده ، وكان لها آرائها الدينيه والسياسيه والاجتماعيه التي تخالف ما عليه جمهور المسلمين المعتدلين .

** ـ أما الفريق الثاني :

فهم جيش الشام أو جماعة معاويه المؤيدين له ، في حقه في الخلافه بعد مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ وأصبح الأمويون كقوة سياسيه بزعامة معاويه لها مؤيدون في الوقت الذي أستقل فيه معاويه ببلاد الشام ، وقد جرت بين الجمهور المعتدل معارك طاحنه بين علي ومعاويه ـ رضي الله عنهما ـ فعلي يحارب باعتباره الخليفه الذي بايعه جمهور المسلمين ، ومعاويه يحارب بدعوى المطالبه بدم عثمان ولأن علي ـ رضي الله عنهما ـ لم يحاكم قتلته ، وبقي هذا الأنقسام في الجمهور المعتدل حتي استشهاد الامام علي ومبايعه أبنه الحسن بالخلافه ـ رضي الله عنهما ـ ولكن الحسن أثر مصلحة الأمة على مصلحته الخاصه ،(١) وفكر في وحدة الأمه واجتماع كلمتها فعقد مفاوضات بينه وبين معاويه ، ومن بنود تلك المفاوضات :

أن يتنازل الحسن عن الخلافة لمعاويه ، وأن تكون الخلافه للحسن بعد معاويه أو أن يكون الأمر بعد معاوية شورى بين المسلمين يولون عليهم من أحبوا وذلك بأختيار الأصلح كما كان في عهد الخلفاء الراشدين .

---

(١) ـ هذا وقد ذكر بعض المؤرخين بأن الحسن تنازل لمعاويه بعد أن شعر بقوة جيشه وعدم امكانية منازلته ، ولكن هذا القول لا يدعمه دليل ثم أنه يتعارض مع ما تنبأ به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن أبنه هذا يصلح بين طائفتين من المسلمين ، وقد كان هذا من الحسن ـ رضي الله عنه ـ .

وقد أنتهت تلك المفاوضات بتنازل الحسن وأصبح معاويه صاحب السلطان المطلق في الولايات الاسلاميه ، وقد عرف ذلك العام تاريخيا بعام الجماعه . (١)

ولكن الحسن توفي قبل معاويه مما جعل معاويه في حل من شروط المعاهده معه وبعد ذلك عمل معاويه بمشورة من خواصه على أخذ البيعة لأبنه يزيد حتي تم له ذلك . (٢)

وخالف في ذلك السنه التي تعارف عليها المسلمون منذ عهد الخلفاء الراشدين الذي كان أختيار الخليفه فيه يقوم على مبدأ الشورى الذي يعطي للأمه الحق في أختيار خليفتهم مع مراعاة أختيار الأصلح لهذه المسئوليه الصعبه ، وبذلك حصل تحولاً سياسياً في عهد معاويه فقد خالف شروط الخلافه الشرعيه وأنتقل بها من خلافة اسلاميه شوريه الى ملكيه وراثيه يعهد بها الخليفه في حياته الى أحد أبنائه أو أهل بيته ، وقد تُعطى ولاية العهد لأكثر من واحد كما فعل عبد الملك بن مروان لأبنيه الوليد وسليمان فيتولون الخلافة واحد بعد الآخر وهكذا حتى سقوطها سنه ١٣٢ هـ . (٣)

وكذلك الحال في عهد الدوله العباسيه والدول الاسلاميه التي تولت بعدها فقد سارت على هذا المنوال حتى أنقراض الخلافه الاسلاميه بسقوط الدوله العثمانيه ، وقد تولى الخلافة في عصر الامام سعيد بن المسيّب وفي عهد الدوله الأمويه خلفاء كان منهم الصالح العادل مثل : عمر بن عبد العزيز الذى تميز عهده بالأمن والرخاء على الأمة .

---

(١) ــ أنظر : تاريخ الاسلام السياسي : ١/ ٢٧٨ ، بتصرف .
(٢) ــ انظر : تاريخ ابن خلدون : ٢/ ١٨٥ ، الامامه السياسيه : ١/ ٢٦٣ وما بعدها .
(٣) ــ انظر العبر : ١/ ٦٩ و ١٧٤ ، تاريخ الاسلام السياسي : ١/ ٢٣٥ .

ومنهم السيء الظالم مثل : الوليد بن عبد الملك الذى كان من أجور الخلفاء وأظلمهم لأنه قد استعمل ولاة ظالمين نكّلوا بالرعيه كمثل الحجاج بن يوسف ولكن على الرغم من كون ذلك العصر كان مشحونا بالفتن والثورات والاضطرابات الدموية وظهور الأنقسامات السياسيه التي كادت تشل حركة الأمه وتهز مكانتها وهيبتها عند الأمم المجاوره الاّ ان نشوة الفتوحات الاسلاميه ظلت عاليه في عهد الدوله الأمويه كما كانت في عهد الخلافة الراشده ، فقد أمتدت شرقا وغربا من المحيط الأطلسي الى تخوم الصين .

ولقد تميز العصر الذى عاش فيه الامام بالأحداث الدمويه ، فقد شهد وهو صغير مقتل عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ثم لمّا شب كان مقتل عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ ثم حصلت الفتنه الكبرى ، وآل الأمر وهو في ريعان الشباب الى مقتل الامام علي ــ رضي الله عنه ــ وحروب الصحابه المنيفه مثل : موقعة صفين بين جماعه علي وجماعة معاويه . (١)

وفي زمن الامام تم أنفصال المدينه المنوره التي كانت عاصمة الدوله الاسلاميه أيام الخلافه الراشده وشهد البيعة لخليفتين : ابن الزبير في الحجاز ومصر ، ويزيد بن معاويه في الشام . (٢)

وكانت الحروب الداخلية الرهيبة التي دارت بينهما وأمتدت تلك الحروب الى المدينه في موقعه الحرّه المؤلمه سنة ٦٣هـ . (٣) وعلى ذلك تعددت الأحداث والفتن التي جرّت الى ظهور الطوائف والفرق الاسلاميه من خوارج ومعتزله وشيعه ومرجئه ، وقد أثرت على الأمة وكانت من أهم العوامل في اضعافها وتمزيق تضامنها وتفكيك وحدتها . (٤)

---

(١) ــ تاريخ الاسلام السياسي : ١/٣٤٢ و ٢٨٦ .
(٢) ــ أعلام المسلمين ((سعيد بن المسيّب سيد التابعين)) ص ٢٢ .
(٣) ــ تاريخ الاسلام السياسي : ١/٢٧٥ و ٣٩٧ و ٤١٦ و ٤١٨ بتصرف .
(٤) ــ تاريخ الأمم الاسلاميه : ١/١٢٩ .

أما الشيعه الذين كانوا في أول عهد الامام علي — رضي الله عنه — يعدون من الجمهور المعتدل ، ولكن بعد ذلك أصبحت هذه الطائفه مستقله لها أرائها في الدين والسياسه وكانوا يتشيعون لبيت علي — رضي الله عنه — وقد غالوا في ذلك حتى أنكر منهم الامام ذلك في حياته ، ولذلك فقد ظهر من طائفة الشيعه جماعة سمّوا أنفسهم التوابين في عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان .

وبعد مقتل الحسين بن علي — رضي الله عنهما — لأنهم ندموا على خذلانهم الحسين ولم يروا خروجاً من هذا الذنب الاّ اذا قاموا للمطالبة بدم الحسين وقتلوا قتلته(١)

ولكن عبد الملك بن مروان الذى يعد المؤسس الثاني للدوله الأمويه ، حيث أنه قد تولى الخلافة بعد أبيه مروان والأمة يعصف بها التفكك والتعصب القبلي وقيام الفتن والثورات والحروب الداخلية ، وقد استطاع اطفاء جذوة هذه الفتن والقضاء على كل المناوبين له ، ولم تمضي سبع سنوات الاّ وقد تمكن من استرجاع جميع الأمصار الاسلاميه وتوحيدها تحت سلطته . (٢) بعد أن كانت الأمه تعاني من فوضى العصبيه والأنقسام فأرسى دعائم مجدها على أساس لم يسبقه اليه أحد من قبله من خلفاء بني أميه ، حتى أستقامت له الأمور وهدأت الأحوال وساد السلام والأمن أرجاء الامة الاسلاميه في عهده وعهد من بعده من أولاده . (٣)

وقد أخذت الدوله بالأصلاح الداخلي ، وأشتهر في الأمة قواد عظام فتحوا الفتوح العظيمة شرقا وغربا وأضافوا الى الدوله الاسلاميه بلداناً جديده وأستعادة الأمة مكانتها وهيبتها في نفوس الأمم المجاوره لها . (٤) ومن خلال دراسة التاريخ نرى أن الدوله الأموية كانت في معظم عهودها تسوس الناس بالبطش والاكراه والقسوة أكثر من سياسة الرفق واللين .

---

(١) — تاريخ الأمم الاسلاميه : ١/١٣٩ .
(٢) — انظر تاريخ الاسلام السياسي : ١/٢٩٢ .
(٣) — انظر المرجع السابق .
(٤) — انظر تاريخ الأمم الاسلاميه : ١/١٦٧ .

ثانيا : الحالة الأقتصادية :

يمتد عصر الامام سعيد بن المسيّب من أنتهاء عهد الخلافة الراشدة وقيام الدولة الأموية ، وما أصاب الأمة الاسلاميه من الأضطرابات والتفكك وحدوث الفتن والثورات وظهور أنقسام الأمة والمبايعه لخليفتين وما أعقب ذلك من تأثر الأمة اقتصاديا وسياسيا وعلميا وأجتماعيا ، وبقي هذا الوضع قائم في عهود الدوله الأمويه الأولى يتدرج من سيئ الى أسوأ ، وقد صحبه ضعف وزعزعة في اقتصاد الأمة وذلك لتأثر العوامل التي تساعد على أزدهار الأقتصاد وقوته ، مثل : قلة الخراج جداً وسائر مصادر بيت المال من الزكاة والجزيه وغيرها ثم أن حركة التجارة قد تأثرت بتلك الأضطرابات تأثرا كبيرا لا سيما اذا علمنا أن أزدهار التجاره يعد من الروافد المهمه لأنتعاش الأقتصاد وقوته ، على الرغم من استمرار الفتوحات الاسلاميه ودخول بلدان كثيره في الشرق والغرب تحت الحكم الاسلامي وأزدياد مصادر الدخل تبعا لذلك الآ ان اقتصاد الأمة في ذلك العهد كان لا يتصف بالقوة ان لم يكن يتصف بالضعف ، وذلك نتيجه لما عانته الدوله الاسلاميه في العهد الأموى وما حدث مع قيام الدوله الأمويه من الأضطرابات والفتن وظهور الطوائف والفرق ووجود الثورات والحروب الداخليه التي أضعفت الأمه في كل مجالات الحياة الأقتصادية والسياسية والعلمية والاجتماعية ، ومما زاد الأمر سوءا أن بعض الخلفاء الأمويين كانوا يغدقون الأموال على أنفسهم وعلى اقاربهم من بيت مال المسلمين ، وصرف الأموال في غير وجوهها المستحقه في حين كان لا يجب صرف أي شيء من بيت المال الآ في مكانه ثم أنه بعد أن كان للخليفه حق

محدد في بيت المال لا يتجاوز درهمين أو ثلاثه في عهد الخلافة الراشده باستثناء عهد عثمان بن عفان — رضي الله عنه — الذى كانت قد كثرت الفتوحات الاسلاميه في عهده وعمّ المسلمين الأمن والرخاء وفاضت عليهم النعم الجمه حتى أبطرهم هذا النعيم وذاك الرخاء مما أدى الى ظهور الفتنه التى أنتهت بمقتل عثمان .

أما في عصر الدولة الأموية : فقد أصبح بيت المال تحت تصرف الخليفة الأموى (١) ، ولقد كانت الأمة الاسلاميه عند وفاة مروان بن الحكم تمزقها الفرقه والعصبيه القبلية وتعاضدت هذه المؤثرات وأشرفت الدولة الأمويه على الزوال وتدهورت الأوضاع الاقتصاديه وغيرها . (٢)

الاّ أن عبد الملك بن مروان والذى يعتبر بحق المؤسس الثاني للدولة الأمويه حيث تمكن في مستهل عهده من شن الغارات على أعداء الدوله والمناوئين لها وأقام صرح الدوله ووحدها بالقضاء على الفوضى والأنقسامات التي كانت السبب الرئيسي في ضعف الأمه اقتصاديا وسياسيا وتفككها اجتماعيا ، وبذلك أنتشل الأمة من حال الفرقه والتمزق ووحدها تحت سلطته فأستقامت له الأمور وساد الأمن والسلام في البقيه الباقيه من عهده وعهد من جاء بعده من أبنائه ، ولهذا أستعادت الأمه مجدها فقامت الفتوحات الاسلاميه من جديد وأنتعش اقتصاد الأمه في هذا العهد من عهود الدوله الأمويه ، لا سيما وقد آلت الخلافه الى خلفاء صالحين كأمثال عمر بن عبد العزيز الذى عدّه الفقهاء والمؤرخون خامس الخلفاء الراشدين لما عمّ الدولة في عهده من العدل والرخاء والأمن فكان عهده شبيه بعهد الخلافه الراشده . (٣)

---

(١) — أنظر المرجع السابق / ١٦٢ وما بعدها ، بتصرف .
(٢) — انظر تاريخ الاسلام ١/ ٢٩٢ ، بتصرف .
(٣) — تاريخ الاسلام السياسي : ١/ ٣٢٥ .

وأيضـــا فان التجـــارة في هذا الجـــو قد أزدهرت وهي ولا شـــك من العوامـــــل التي ساعدت على قـــوة الاقتصـــاد في الدولـــه .

وهكـــذا فان الحـــاله الأقتصـــاديه في عصـــر ســـعيد بن المســـيّب كانـــت في بادئ عهـــود الدولـــه الأمـــويه غير مســـتقرة ولا ثابتـــة الاّ أنهـــا في العهـــود الأخيرة بـــــد ١ من عهـــــد عبد الملك بن مـــروان ومن بعـــدة قـــد أســـتقامت الأمـــور وأســـتتب الأمـــــن فكانت الحـــالة الأقتصـــاديه في الأمـــة مســـتقره ومـــزدهره .

= = = = = = = = = = = = = = = = =

ثالثـا : الحالـة الاجتماعيـة :

كانت الدولـة الاسلاميـة وعاصمتهـا المدينـة المنـوره في عهد الخلافـة الراشده تصخـب بالحيـاة الزاهـره وذلك في صبـا سعيد بن المسيّب والأمـة الاسلاميـة على خير ما يسـر الصديـق وينفـس العدو ، حيث كانت كلمـة الأمـة مجتمعـة وموحـده والإيمان قوي في النفوس، فكان الدين هو الرابطـة القويـة التي وحـدت الأمـة من أجـل العمـل لغـاية واحـده هي : نصـرة الاسـلام والجهـاد في سـبيل اللّـه لكي تكون كلمـة اللـه هي العليـا ، فالناس كانـوا في عهـد الخلفاء الراشـدين ينظرون الى الأمـور نظـرة اسلاميـة بحتـه ، لا يشـعر معهـا أحـد بفضـل على غيره من المسـلمين الاّ بالتقـوى والعمـل الصالح ، وكذلك الخلفـاء الراشـدون وولاة الأمـة من الصحـابة لم يكـن أي منهـم يشـعر بأي امتيـاز على غيـره من الأمـة غير الشـعور بعظـم المسئوليـة وتبعاتهـا .

ولهذا روى في الأثر أن عمر ابن الخطاب ـ رضي اللـه عنـه ـ قال : ((واللـه لو عثرت بغلـةٍ بالعراق لخشـيت أن يسألني اللّـهُ عنها لماذا لم أمهـد لها الطريق ؟)) .

ولكن بعد عصـر الخـلافـة الراشـده وقيام الدولـة الأمـويه بزعامـة معاويـه كانـت الأحـوال قـد تغيرت وصارت قصبـة الامامـة في الشـام أيان الخلافـة الأمويه ، وأصبحت المدينـة المنـوره منكمشـة على نفسـها وأن كانـت قـد بقيت لهـا في الواقع مكانتهـا العلميـه والأدبيـة لما لهـا من قدسـية وحرمـة في قلـوب المسلمين . (١) لوجـود الحـرم النبـوى بهـا وقبر رسـول اللـه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصاحبيـه ـ رضي اللـه عنهما ـ .

---

(١) ـ أنظـر : اعلام المسلمين ، الامام " سعيد بن المسيّب " : ٢٤/ ، وما بعدها .

ومن الأمور التي أستحدثت في عهد بني أميه أن البيعة لم تعد تؤخذ عن رضا الأمة وموافقتها ، عن طريق الشورى وأختيار الاصلح لأنها الطريقة الشرعية المثلى لتعاليم الاسلام ، وانما أصبحت تؤخذ البيعة من الأمه بالقوة والاكراه . (١)

وهذه البدعة التي أستحدثها معاويه بأخذ البيعه لأبنه يزيد كان من نتائجها كراهية الناس للخلفاء الأمويين كما أن أحتجاب الخلفاء عن الرعية وتحويل الخلافة من خلافة اسلامية الى ملك وراثي فكان الخلفاء الأمين ملوك دنيويين لا خلفاء دينين ، وبدأت الهوة تتسع وتزيد ابتعادا بين العلماء والحكام وحصل هناك تصدع في بنية الأمة وتركيبها الاجتماعي ، فظهرت هناك الطوائف والفرق المتعددة من خوارج وشيعه ومرجئه ومعتزله وأثرت كلها في الأمة من جميع النواحي الاجتماعية والعلمية والدينية والسياسية والاقتصادية (٢) وان كان التأثير في النواحي الأخلاقيه والدينية والعلمية يعد تأثيرا طفيفا لا يصل الى درجة الهزة العنيفة وانما خفت الروح الاسلامية التي كانت حيث لم تعد للشورى مكانتها التي كانت عليها في عهد الخلفاء الراشدين .

وهكذا كانت الأوضاع الاجتماعيه في عصر التابعين تسير وفق للسياسة التي سار عليها الخلفاء الأمويون ، وكأنعكاس لتلك السياسة وتميز ذلك العصر بالخلاف بين العلماء والحكام ولعل منشأ الخلاف راجع الى الطريقة التي كان يتم بها اختيار الخليفة والتي كانت تغاير الطريقه التي يتم بها الأختيار في عهد الخلافة الراشده . (٣)

---

(١) ــ أنظر الاسلام بين الحكام والعلماء / ١٣٦ .
(٢) ــ نظرة في تاريخ الفقه / ١٠٦ ــ ١١٢ ، تاريخ الاسلام السياسي : ١/ ٤٣٧ .
(٣) ــ أنظر المرجع السابق .

وكان للامام سعيد وغيره من العلماء رأي اساسه شرعي بحت إذ يرون عدم جواز البيعة لأحد مادام الخليفه حيّاً ، لأن ولاية العهد لا يترتب عليها الزام الأمة باستخلاف من عهد له بالخلافه إلاّ إذا بايعت له باختيارها بعد وفاة الخليفه كما حدث في بيعة عمر وتولية الخلافة ، فقد عهد بها أبو بكر – رضي الله عنه – في حياته لعمر – رضي الله عنه – وبايعت الأمة بأختيارها عمر بعد وفاة أبي بكر ، والحال قد تغير في عصر الدولة الأموية فلم تعد البيعه تتم على هذا المنوال أو قريب منه حيث كانت ملك دنيوي لا خلافة إسلامية .

ونظراً الى التغير الذي طرأ في عصر الامام في عهد الدولة الأموية وما ظهر من تغشي العصبية التي كان قد قضى عليها الاسلام وأقام المجتمع على مبادئ الدين وتعاليمه ، وقد أخذ هذا التعصب اتجاهين :–

** – الاتجاه الأول : التعصب للعرب ضد الموالي .

** – الاتجاه الثاني : ظهور التعصب القبلي بين بني أمية وبني هاشم كما كان في الجاهلية . (١)

أما موقف الإمام سعيد بن المسيّب أمام هذا التعصب فقد كان منهجه هو منهج الرسول – عليه الصلاة والسلام – وأصحابه وهو التمسك بتعاليم الاسلام الاصيله التي تجعل التفاضل بين الناس بالتقوى والصلاح ، ولم تؤثر عليه كل التطورات الطارئه التي تتعارض مع تعاليم الاسلام وقيمه وأن مناط التفاضل بين البشر هو بأخذ تلك التعاليم والتقوى : " إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم " . (٢)

---

(١) – أنظر : تاريخ الاسلام السياسي : ١/٥٠٣ .
(٢) – سورة الحجرات : الآيه : ١٣ .

الفصل الثاني
****

((حياة سعيد وشخصيته))
==========

أولا : حياته :

(١) ـ نسبه ، ونشأته :ـ

هو سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب أبن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظه بن مره بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه أبن خزيمه بن مدركه بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

** ـ كنيته :ـ

أبو محمد ، القرشي ، المخزومي ، المداني ، امام التابعين وأحد فقهاء المدينه السبعه . (١)

** ـ أما كلمة القرشي :ـ

فهي نسبة الى قريش وهي القبائل التي تنتمي الى النضر بن كنانه ، وهذا رأي أكثر علماء الأنساب ، وقيل هو الذى صححه أبن عبد البر وغيره : بأن قريشاً هي القبائل التي تنتمي الى فهر بن مالك ، أما ما فوق ذلك فلا يقال له : قرشي وانما يقال له : كناني . (٢)

---

(١) ـ تهذيب التهذيب : ٤/ ٨٤ ، شجره النور الزكيه : ١/ ٢٠ ، نسب قريش / ٢٩٩ ، الطبقات الكبرى لأبن سعد : ٥/ ١١٩ ، تاريخ الاسلام طبقات المشاهير والاعلام : ٤٠/

(٢) ـ أنظر تفصيل ذلك في : الأنباء / ٦٨ ـ ٦٩ ، الطبقات الكبرى : ١/ ٣٩ ـ ٤٠ ، الكامل : ٢/ ٨ ، تاريخ ابن خلدون : ٢/ ٣٢٤ ، ٣٢٧ .

** ـ ومعنى المخزومي :ـ

نسبه الى مخزوم بن يقظه وبنو مخزوم بن يقظه : بطن من بطون لؤي بن غالب من قريش . (١)

وكان لبني مخزوم قيادة أعنّة (٢) قريش في الجاهليه ، وقد برع منهم في فن القيادة جماعة أشهرهم :

سيف الله خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ قبل إسلامه ، حيث كان يقود جيش المشركين في معركه أحد ومن براعته في فن القياده أنه أنتهز فرصه نزول الرماه عن الجبل ، وإلى بني مخزوم بن يقظه ينتمي أكثر المخزوميين .

** ـ ومعنى المدني :ـ

نسبة الى المدينة المنوره ، مدينة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

** ـ نشأته :ـ

نشأ سعيد بن المسيّب وتربى في مدينة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مهبط الوحي ومصدر الهدايه والمكان الذي أنطلق منه صوت الحق ومركز إشعاع الصلاح والهدى ودار الهجرة وتنزل التشريع ، وفيها المسجد النبوي الشريف وتكوّن السنة المطهره ، وتربى فيها أقطاب المدرسة المحمّديه من الصحابه البرره الاجلاء وعليها قامت دولة الاسلام الاولى بقيادة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ـ جمهرة أنساب العرب / ١٣١ ، معجم قبائل العرب : ٣ / ١٠٥٨ ، فقه الامام سعيد بن المسيب : ١ / ١٤ .

(٢) أى قيادة جيش قريش في الحروب التى كانت تشنها في الجاهليه ، والأعنّه كناية عن عنان ولجام الفرس أو الخيل .

ومن المدينه المنوره خرجت الجيوش الاسلاميه تفتح البلدان وتنشر الدين الاسلامي في كل أنحاء المعمورة ، وأصبحت المدينه العاصمه السياسيه للدولة الاسلاميه في عهد الخلافة الراشده ومقر أصحاب الرسول — عليه السلام — وهي موئل العلم ومأوى الفقهاء ومجمع العلماء ومهد سنه الرسول — صلى الله عليه وسلم — ودار الفقه ومنبع الحديث ، فقد أنفردت بخصائص قلّ أن تحوزها أى مدينة غيرها .

وصدق رسول الله — صلى الله عليه وسلم اذ قال عنها : ((أن الايمان ليأرز الى المدينه كما تأرز الحية الى جحرها)) (١) ((انها طيبه — يعني المدينه — وانها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضه)) (٢) وقد هدد وتوعد الرسول — عليه السلام — من يريدها بسؤ فهي حرم آمن كمكة المكرمه .

قال صلى الله عليه وسلم : ((من أستطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فاني أشفع لمن يموت بها)). (٣)

ولقد كان لهذه البلدة الطيبة الأثر الكبير في نشأة الامام سعيد بن المسيّب وتكوين شخصيته في قوة وعزة وصلابة في الحق وأستقامة في السلوك وصفاء النفس وقوة العقيده ولا ريب ولا غرو وقد تتلمذ على كبار الصحابة البرره فكان الزاهد الورع المتدين حتى لقب براهب قريش وسيد التابعين وفقيه الفقهاء ، سديد في القول متفاني في العمل غزير العلم والثقافه أعلم أهل عصره بأقضية كبار الصحابة كعمر بن الخطاب ، عرفه النّاس بالجرأة في الفتيا وهذه الجرأة طبيعيه في حق أمثاله بسبب مخالطته الصحابه — رضي الله عنهم — وأخذه عنهم

---

(١) — أخرجه البخارى ومسلم وأحمد وأبن ماجه عن أبي هريره — رضي الله عنه — ومعنى أرزت الحية الى حجرها : أى اذا أنضمت الى جحرها والتجأت .

(٢) — أخرجه مسلم عن زيد بن ثابت — رضي الله عنه — .

(٣) — رواه الترمذى عن ابن عمر — رضي الله عنهما — .

العلم والآثار والأحاديث النبوية ، فأصبح بحق خير خلف لخير سلف فكان تاجاً [1] على رأس القرن الذي عاش فيه والذي شهد له الرسول — عليه الصلاة والسلام — بالخيرية فقال عنه :

((أن خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ثم يكون قوم يشهدون ولا يستشدون ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن)). [2]

(٣) — ولادته ، ووفاته :—

ولد سعيد بن المسيّب إمام التابعين في المدينه المنوره بعد استخلاف عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — سنه ١٣ هـ لسنتين مضتا ، أي في سنه ١٥ هـ . [3]

وهذه هي أرجح الروايات وأصحها وذلك أنه قد روى عن يحيي بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيّب يقول : ولدت لسنتين مضتا من خلافة عمر)). [4]

فهذا كلام الامام نفسه ، وقد صح عنه ، فهو قاطع للنزاع ، وهذا ما رجحه الشيرازى وغيره ، وأقتصر الذهبي على ذكره في تذكرة الحفاظ . [5]

ولأتفاق هذه المصادر يذكر هذا القول : يكون الراجح من الأقوال هو قول من قال : ولد سنة خمس عشرة للهجره وذلك لأن عمر — رضي الله عنه — ولي الخلافة في جمادى الآخرة سنه ثلاث عشرة للهجره [6] لأننا عندما ندقق النظر الى ما سبق ذكره عن الامام وهو قوله : ولدت لسنتين مضتا

---

(١) — أعلام المسلمين : ص ١٨ .
(٢) — أخرجه البخارى ومسلم عن عمران بن حصين — رضي الله عنه — .
(٣) — ذكر الحافظ العراقي : أنه قد أختلف في سنة ولادته : فقيل سنه خمس عشر وقيل : سنه سبع عشره ، وقيل : سنه أحدى وعشرين من الهجره .
أنظر : طرح التثريب : ١/ ٥٤ .
(٤) — قال الحافظ بن حجر : اسناده صحيح ، أنظر تهذيب التهذيب : ٤/ ٨٤ .
(٥) — طبقات الفقهاء ٥٧١ ، صفة الصفوة : ٢/ ٤٤ ، تذكرة الحفاظ : ١/ ٥٤ .
(٦) — أنظر : شذرات الذهب : ١/ ٢٤ .

من خلافة عمر ، يكون قد ولد بالتحديد في : جمادى الآخره سنه خمس عشره للهجره [١] وان كان هناك روايات أخرى منها : أنه ولد بعد أستخلاف عمر بأربع سنين ، ومات بالمدينه وهو ابن أربع وثمانين سنه .

ومنها أيضا رواية تقول : أنه ولد قبل موت عمر بسنتين ومات وهو أبن أثنتين وتسعين [٢] ولكن هذه الروايات مرجوحه بالرواية التي أيدها قول الإمام عن نفسه وهو قوله : أنه ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ .

** ـ وفاته :ـ

أختلف العلماؤ والمؤرخون في السنه التي توفي فيها الامام سعيد بن المسيّب على عدة أقوال : فمنهم من قال : توفي سنة ٩٤ هـ أبّان خلافة الوليد بن عبد الملك " ٨٦ ـ ٩٦ " ودفن بالبقيع بالمدينه المنوره [٣] ، ومنهم من قال : أنه توفي سنه تسع وثمانين هجريه ، ومنهم من قال : توفي بعد التسعين وقد ناهز الثمانين ، وقيل : توفي سنه أثنتين ، وقيل : ثلاث وتسعين ، وقيل : توفي سنه خمس ومائه .

والراجح من هذه الأقوال أنه توفي سنة أربع وتسعين للهجره [٤] والدليل على رجحان هذا القول ما رُوِيَ ابن سعد بسنده عن سعيد بن المسيّب أنه قال : ((قد بلغت الثمانين سنه وما شئ أخوف عندي من النساء)). [٥]

فاذا جمعنا بين هذا القول وبين القول الراجح لتاريخ ولادته تبين لنا أنتفاء التواريخ التي أرخت لوفاته بما قبل سنه : أربع وتسعين . [٦]

---

(١) ـ أنظر فقه سعيد بن المسيّب : ١/١٦ .
(٢) ـ راجع طبقات ابن سعد : ٥/١١٩ وما بعدها ، البدايه والنهايه ٩/٩٩ .
(٣) ـ من خلال دراسة سيرة الامام سعيد يلاحظ أنه لم يخرج منها حتي توفاه الله ما عدى خروجه لمكه المكرمه للحج والعمره . أو خروجه مرة للغزو في سبيل الله .
(٤) ـ أنظر : تاريخ الاسلام : ٤/٤ ، ١١٨ ، تهذيب التهذيب : ٤/٨٦ .
الكاشف : ١/٣٧٣ ، التحفه اللطيفه : ٢/١٩٦ ، سير اعلام النبلاء : ٤/١٩٩ ـ ٢٠٠ .
(٥) ـ الطبقات الكبرى : ٥/١٠٠ .
(٦) ـ انظر فقه سعيد بن المسيّب : ١/١٤٨ .

أمّا من قال : أن وفاته فيما بعد المائه فيوضح عدم صحتها أن عمر بن عبد العزيز ابن مروان ـ رحمه الله ـ قد تولىٰ الخلافة سنةً تسع وتسعين للهجره . (١)

ومن خلال دراسة سيرة سعيد بن المسيّب نجد أن العلاقه التى كانت بين الامام وبين بني مروان يغلب عليها البرود وعدم الرضا وأحياناً تصل حدّ الجفاء والصدام العنيف ، بإستثناء عمر بن عبد العزيز بن مروان الذى كان والياً على المدينه المنوره أبّان خلافة عبد الملك وأبنه الوليد .

فقد كان طابع العلاقه التي بينه وبين الإمام سعيد تتسم بالمحبةّ والود والاحترام المتبادل ، فابن المسيّب كان يتوسم في عمر بن عبد العزيز التقي والصلاح حتي لقبه بالمهدي .

وقال حبيب بن هند الأسلمي : قال لى سعيد بن المسيّب : ((إنما الخلفاء ثلاثه : أبو بكر ، وعمر ، وعمر بن عبد العزيز ، قلت له : أبو بكر وعمر قد عرفناهما ، فمن عمر بن عبد العزيز ؟ قال : إن عشت أدركته ، وأن مت كان بعدك ، قال حبيب : ومات ابن المسيّب قبل خلافة عمر)) . (٢) في حين كان عمر كذلك يبادل سعيد بن المسيّب الأحترام ويعرف له منزلته العلميه وفكره النير كما أنه كان يطلب مشورته ورأيه في أهم القضايا التى كانت تعرض على عمر بوصفهّ والياً للمدينه .

أما بعد أن اصبح عمر بن عبد العزيز خليفة للأمة سنه تسع وتسعين للهجره فقد مات ابن المسيّب ، اذ لو كان حيّاً لأستعان عمر بعلمه وحكمته وسداد رأيه ولقربه اليه نظراً لحسن العلاقة التي كانت بينهما ثم لأن مؤازرة سعيد لعمر أولي خاصة وقد صار أمير للمؤمنين .

---

(١) ـ العبر : ١/١١٨ .
(٢) ـ فقه الامام سعيد بن المسيّب : ١/١٤٩ .

وأيضا يذكر المؤرخون بأن عمر بن عبد العزيز قد أمر في عهده بجمع السنة المطهره فكتب الى عماله في الأمصار الاسلامية بذلك ومنهم عامله على المدينه وقد أستعان والي المدينة على تنفيذ أمر عمر لجمع السنة بالزهري وغيره من العلماء ، ولو كان سعيد بن المسيّب حيّاً - أنذاك - لكان هو أولى بهذا العمل لما له من سعة العلم والمعرفه في هذا المجال . (١)

وقد عُرفت السنة التي مات فيها الامام بسنة الفقهاء لكثرة من مات فيها منهم ، فقد مات في أولها علي بن الحسين المعروف بزين العابدين - رضي الله عنهما - ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيّب ، وأبو بكر سلمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . (٢)

وقد توفي الامام سعيد بن المسيّب بعد أن قدّم للاسلام والمسلمين من التضحيات والمساهمة في ازدهار ونمو الاجتهاد الفقهي واثراءه بالأحكام وتقدم الثروة العلمية ونمو الثقافة والمعرفة في كافة العلوم الاسلاميه من التفسير والحديث والفقه والشعر والأدب واللغه العربيه ، كما حفظ للأمه تعاليم دينها وأنار لمن بعده السبيل للبحث والاجتهاد الفقهي .

ويؤثر عن سعيد بن المسيّب أنه قال في مرض موته :

اذا ما مت فلا تضربوا على قبرى فسطاطاً ، ولا تحملوني على قطيفه حمراء ولا تتبعوني بنار ، ولا تؤذنوا بى أحد حسبي من يبلغني ربي ، ولا يتبعني راجزهم هذا . (٣)

---

(١) - فقه الامام سعيد بن المسيب : ١/١٤٩ .

(٢) - تاريخ الطبرى : ٦/٤٩١ ، شذرات الذهب : ١/١٠٣ ، مرآة الجنان : ١/١٨٧ - ١٩٢ ، طبقات ابن سعد : ٥/١٤٣ .

(٣) - طبقات ابن سعد : ٥/١٤٢ .

من هنا نرى صلاح أبن المسيّب وتقاه وحرصه على تطبيق هدى الاسلام وتعاليمه في تشييع الجنازه يدفعه الى قول هذه الوصية لا سيما وهو كان يقولها وهو في مرضه الذى مات فيه .

فرحمه الله وطيب ثراه وجزاه خير ما يجزيٰ به عباده الصالحين لما قام به من خدمة الاسلام والوقوف في وجوه الحكام والولاة وقول : كلمة الحق في شجاعة دون خوف أو وجل رغم ما كان يجد من المتاعب في سبيل ذلك .

==========

ثانيا : شخصيته :-

يُعد الإمام سعيد بن المسيّب مثلاً أعلىٰ للقيم والفضائل والنشاط ، وعلما من أعلام الطموح والرجولة الفذه والثبات على الحق وسداد الرأي .

من فضائله التدين والفقه والعلم الغزير وتمسكه بسنة الرسول - عليه الصلاة والسلام - والخلفاء الراشدين فكان بحق سيد التابعين وفقيه الفقهاء في عصره ، وموضع ثقة من تقدمة من صحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولهذا قال المؤرخون عنه : ((كان سعيد جامعاً ثقة ، كثير الحديث ثبتاً ، فقيهاً ، ومفتياً ، مأموناً ، ورعاً ، عالياً ، رفيعاً)) . (١)

وقيل عنه : ((كان سيد التابعين من الطراز الأول وأحد الفقهاء السبعة بالمدينه ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعباده والورع)) . (٢)

فأوصافٍ كهذة تجتمع في شخصية لا بد أن تكون أشد ثباتا وأجلّ وأرفع منها ، لأن الشخصية المستوعبه لهذه الصفات والخصائص بمثابة الإناء وكل إناء بما فيه ينضح ، ولهذا فكل عظيم من العظماء يتمتع بهيبة وجلال واضح ، ويتميز على غيره بمواهب فريده وأمتزجت تلك المواهب والخصائص بحركاته وسكناته ، وكلامه وأفعاله فكان كل من سمعه ورآه يكن له من الاكبار والاجلال والهيبة ما يناسب مكانته .

وقد حظي سعيد بمثل هذه الجلالة المتسمة بالتواضع والابتعاد عن أي شائبة من شوائب الكبر والبطر والأغترار الذي يصيب النفوس الضعيفه .

قال عبد الرحمن بن حرملة : ((ما كان انسان يجترئ على سعيد بن المسيّب يسأله عن شيءٍ حتي يستأذنه كما يستأذن الأمير)). (٣)

---

(١) - أنظر طبقات ابن سعد : ٥/١٣٧ .

(٢) - أنظر وفيات الأعيان : ٢/٣٧٥ ، شذرات الذهب : ١/١٠٢ ، مرآة الجنان : ١/١٨٦ .

(٣) - أنظر حلية الأولياء : ٢/١٧٣ ، صفة الصفوة : ٢/٤٤ ، طبقات الشعراني : ١/٣٠ .

لكن هذه الهيبة والاجلال لسعيد كانت متنوره بنور الله فأصبح مطمئن القلب والجوارح بسبب صلاحه وتقواه يستضيء بنور رباني في الظلمات الحوالك ، قال ابن حرمله : ((أدرك سعيد رجلا من قريش ، ومعه مصباح في ليله مطيره ، فسلَّم عليه ، وقال : كيف أمسيت يا أبا محمد ؟ قال : أحمد الله ، فلما بلغ الرجل منزله دخل ، وقال : نبعث معك بالمصباح ، قال : لا حاجة لي بنورك ، نور الله أحب إليّ من نورك)) . (١)

٣) ــ عبادته وأخلاقه ومظهره وزهده :

** ــ عبادته :

أعلى مراتب العبادة عند الإمام سعيد : ربط الفكر بالله سبحانه وتعالى على الدوام دون إنقطاع والحفاظ على أداء الفرائض ، والابتعاد عن المحارم وطلب العلم والانقطاع له . (٢)

روى أبو نعيم بسنده عن بكر بن خنيس قال : ((قلت لسعيد بن المسيّب وقد رأيت أقواماً يصلون ويتعبدون :ــ

يا أبا محمد ، ألا تتعبد مع هؤلاء القوم ؟ قال : التفكر في أمر الله ، والورع عن محارم الله ، أداء فرائض الله)) . (٣)

ولهذا فرأي الامام سعيد في العباده يغاير ما عليه كثير من المنقطعين للعباده من المتعبده والمتصوفه .

روي عن صالح بن محمد بن زائدة : ((إن فتية من بني ليث كانوا عباداً : كانوا يروحون بالهاجرة الى المسجد ، ولا يزالون يصلون حتى يصلي العصر ، فقال صالح

---

(١) ــ أنظر طبقات ابن سعد : ٥/١٣٧ .
(٢) ــ أنظر فقه سعيد بن المسيّب : ١/٤٠ .
(٣) ــ حلية الأولياء : ٢/١٦٢ .

لسعيد : هذه هي العباده ! لو نقوىٰ علىٰ ما يقوىٰ عليه هؤلاء الفتيان ، فقال سعيد : ما هذه العباده ، ولكن العباده : التفقه في الدين والتفكر في أمر الله تعالى)) . (١)

وليس قصد الامام بقوله : ((ما هذه العباده)) نفي وصف العبادة عن النوافل وإنما قصد التنبيه إلى أن هذه العبادات والنوافل ليست أعلى مراتب العبادة فهناك من الطاعات والعبادات ما هو أفضل منها وأعم نفعاً : كطلب العلم والتفقه في الدين ، والتفكر في أمر الله وآياته الكونية الدالة على عظمته سبحانه وغيرها مما ذكره الإمام سابقا .

** ـ وصف عبادة الامام :ـ

حرصه على صلاة الجماعة في المسجد :

لا شك أن المتتبع لتاريخ الامام وسيرته يجده كان أكثر حرصا على أداء الفرائض في المسجد مع الجماعه ولا يمكن أن يتخلف عن ذلك مهما كانت الأسباب اذا كان هذا السبب لا يصل الى درجة القهر الذي يحول بينه وبين صلاة الجماعة ، ثم أن من زيادة حرصه عليها أنه كان يستعد للصلاة قبل دخول الوقت ثم ينتظرها بشغف وشوق ، لذلك روى اسماعيل بن أمية عن سعيد بن المسيّب قال :

((وما دخل عليّ قضاء فرض إلاّ وأنا إليه مشتاق)) . (٢)

وقد يدهش الانسان ويذهل أمام سيرة ابن المسيّب بصفة عامة وعبادته بصفه خاصة سواءاً في صلاته وحجه وصومه وتلاوته للقرآن مع إشتغاله بالعلم وطلبه للحديث وأنهماكه في التفكير والتأمل والتفقه في الدين .

---

(١) ـ نفس المرجع السابق .
(٢) ـ حلية الاولياء : ٢/١٦٣ ،

روى عن عبد الرحمن بن حرملة : ((أن سعيد بن المسيّب أشتكي عينيه ، فقيل له : يا أبا محمد لو خرجت الى العقيق [١] فنظرت الى الخضرة ، فوجدت ريح البريه ، لنفع ذلك بصرك ، فقال سعيد : فكيف أصنع بشهود العتمة [٢] والصبح ؟)) [٣] ولهذا روى : ((أنه لم تفته الصلاة في جماعة أربعين سنه منها عشرين لم ينظر في أقفيه الناس)). [٤]

وهكذا جمع أبن المسيّب بين روح العبادة وحقيقتها وبين مراسمها وكيفيتها المشروعه. [٥]

وكان الامام يرىٰ أن العبادة الحقه هي أن تمتلئ النفس خشية وخشوع وطمأنينه وهذا هو المعني الذى شرعت من اجله العباده :

قال تعالى : " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون ". [٦]

وقوله : " الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق " [٧]

** ـ صلاته بالليل :ـ

تميز الامام بحرصه الشديد على التمسك بالسنه بصفه عامه وبوجه خاص الصلاة في جوف الليل بأعتبار صلاة التهجد سنه لأمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن كان التهجد فرضاً على الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

قال تعالى :ـ

" ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً ". [٨]

---

(١) ـ " العقيق " واد قرب المدينه فيه عيون ونخل " مراصد الاطلاع " : ٢/٩٥٢ .
(٢) ـ العتمه : صلاة العشاء ، النهايه : ٣/٦٧ .
(٣) ـ حلية الأولياء : ٢/١٦٣ ، الطبقات الكبرى : ٥/٩٧ .
(٤) ـ أنظر : حلية الأولياء : ٢/١٦٣ .
(٥) ـ أنظر أعلام المسلمين " سعيد بن المسيّب " : / ٤٠ .
(٦) ـ سورة الأنفال : آية : ٤ .
(٧) ـ سورة الحديد : آية : ١٦ .
(٨) ـ سورة الاسراء : آية : ٧٩ .

" ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ، ونصفه وثلثه ، وطائفـــه من الذيـــن معـــك ". (١)

والحق أن سـعيد في عبادته بالليل قد أجهد نفسه فكان ـ رضي الله عنـــه ـ يقول لنفســه اذا دخل الليل : ((قومي يا مأوى كل شر ، والله لأدعنك تزحفين زحـــف البعير ، فكان يصبح وقد ماه منتفختان ، فيقول لنفسه : بذا أُمرت ، ولذا خلقت)) . (٢)

ولما عرف بـه الامام من كثرة الصلاة بالليل لفتـرة طويلـه قيل أربعين سنه وبعضهـــم قال : خمسين سـنه يحيي ليلـه كلّـه بطاعة الله تعالى وعبادته ، وكان شديد الحرص في ذلك حتى في السـفر فهو متصف بمن قال اللهُ تعالىٰ فيهم : ((تتجافى جنوبهم عـن المضاجع يدعون ربّهـم خوفاً وطمعا)) . (٣)

ولقد كان الامام سـعيد ـ رضي الله عنـه ـ يحـي ليلـه كلّـه بالصلاة والعبادة ويؤيد ذلك ما روى عن عبد المنعم بن أدريس عن أبيه قال : ((صلى سعيد بن المسيّب الفـداة (٤) ، بوضـوء العتمـة خمسـين سـنه)) . (٥)

أما تلاوتـه للقـرآن فقـد كان كثير التلاوة في جميع احوالـه ، رُوِي عن عاصـــم بن العباس الأسـدي قال : ((سـمعت سـعيد بن المسيّب يقـرأ القرآن ـ بالليل علـى راحلتـه ـ فيكثـر)) . (٦) ومن أراءه في فضل صـلاة الجماعة ما رُوِي عنه أنـه قـال : ((من حافظ على الصلوات الخمس في جماعةٍ فقـد ملأ البر والبحـر عبـادة)) .

ومن حرصه الشديد على صـلاة الجماعة وما فيها من الثواب وتجمع المسلمين وتعارفهم وتعاونهم : ((صلاة الجماعة تفضل صـلاة الفـذ بسبع وعشرين درجه)) . (٧)

---

(١) ـ سوره المزمل : آيه ٢٠ .
(٢) ـ أنظر الطبقات الكبرى للشعراني : ١ / ٣٠ .
(٣) ـ سوره السجده : آيه ١٦ .
(٤) ـ " الفـداة " صلاة الصبح ، ((النهاية : ٣ / ١١٥)) .
(٥) ـ حلية الأولياء : ٢ / ١٦٣ ، صفـوة الصفـوة : ٢ / ٤٤ .
(٦) ـ الطبقات الكبرى : ٥ / ٩٨ .
(٧) ـ رواه أحمد في المسند ، وأصحاب الكتب السـته ما عدا أبا داود عن ابن عمـر ـ رضي الله عنهما ـ .

وقد رُوِيَ ابن حرملة عن سعيد قال : ((ما لقيت النّاس منصرفين من صلاة منذُ أربعين سنه)). (١)

وقد كان ابن المسيّب من أكثر السلف في المداومة على أداء الفرائض في المساجد والتقرب الى الله بالنوافل عملاً بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((اذا مررتم برياض الجنّة فأرتعوا ؟ قالوا : وما رياض الجنه ؟ قال : المساجد قيل : وما الرتع ؟ قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الاّ الله ، والله أكبر (٢))) وقال : ((من غدا الى المسجد ، أو راح ، أعد الله له في الجنّة نزلاً كلّما غدا أو راح)). (٣) ((اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد ، فاشهدوا له بالايمان)) قال تعالى : ((انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)). (٤)

ومن المعروف أن المعلق قلبه بالمساجد من السبعه الذين يظلهم اللهُ في ظله يوم لا ظل الاّ ظله . (٥)

وهكذا كان الإمام سعيد يعمل بمقتضى هذه التوجيهات الربانيه ثم النبويه ، ليفتح له باب الى جنان الخلد ، فلزم المساجد ومجالس العلم فيها .

قال الامام مالك ـ رضي اللهُ عنه : بلغني أن سعيد بن المسيّب كان يلزم مكاناً من المسجد لا يصلي في غيره ، وأنه ليالي صَنَعَ به عبد الملك ما صنع ، قيل له : أن يترك الصلاة فيه ، فأبيٰ الاّ أن يصليٰ فيه . (٦)

وقال سعيد : ما أذّن منذُ ثلاثين سنة إلاّ وأنا في المسجد .

---

(١) ـ
(٢) ـ رواه الترمذى عن أبي هريره .
(٣) ـ رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبي هريره ، غدا : ذهب ، راح : رجع.
(٤) ـ سورة التوبه ، آية : ١٨ .
(٥) ـ رواه مسلم والبخارى وغيرهما عن أبي أبي هريره ، راجع الترغيب والترهيب : ٢١٧/١
(٦) ـ وفيات الاعيان : ٣٧٧/٢ .

وقال مولاه يـردُ : " ما نودى للصـلاة منـذُ أربعين سـنـة إلاّ وسعيد في المسجد " (١)

ولقد رأينـا العجب العجاب لما كان من حرص الإمـام الشديد على تأديـة الصلـوات في المسجد جماعـة ، ولكنـه قد خصص من حرصه الشـأمل شـيئاً خاص بصلاتي الصبـح والعشاء وأداءهما في المسجد مع الجماعـة أمتثالاً لقول الرسول الكريم ـ صلى الله عليـه وسـلم ـ : ((من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبـح في جماعـة فكأنما صلى الليـل كلـه)). (٢)

وقولـه : ((بشـر المشائين في الظلـم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة)). (٣)

وقد صـح عنه عليه الصلاة والسلام : ((أن هاتين الصلاتين ـ الصبح والعشـاء ـ أثقل الصلوات على المنافقين ، ولو تعلمون ما فيهما لاتيتموهما ، ولو حبـواً على الركب)) (٤)

ولقـد مرّ بنـا أنـه حدث لـه مرض في عينيـه ومع ذلك لم يتخلـى عن صلاتي الصبـح والعشـاء جماعة رغم ما أشـار بـه عليه محبيه من مغادرة المدينـه الى البريه .

** ـ صيامـه :ـ

أشتهر أبن المسـيّب بصـومه كما أشـتهر بصلاته وقرأته للقـرآن ذلك أن نفسـه الزكيـه البـاره قد أشـتاقت الى دخـول الجنـه من باب الريـان الذى لا يدخل منـه إلاّ الصائمـون يوم القيامـة ، فأذا دخلوا اغلـق فلـم يدخل منـه أحـد (٥) ، ولهذا فقـد كان يكثر ابن المسـيّب من الصـوم فهو يسـرد الصوم ، ويصـوم الدهـر (٦) ولكنـه يفطـر ايام العيدين ، والتشريق الثلاثـه التي بعد عيد الاضحى وذلك لعلمه بحرمة صومها شرعاً.

---

(١) ـ حلية الأولياء : ٢/ ١٦٢ وما بعدها ، والبدايه والنهايه : ٩/ ١٠٠ .
(٢) ـ رواه مالك ومسلم وأبو داود والترمذى عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه .
(٣) ـ رواه ابن ماجه وابن خزيمه في صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وذلك عن سهل بن سعد الساعدى ـ رضي الله عنه ـ .
(٤) ـ رواه احمد وأبو داود وابن خزيمه وأبن حبان في صحيحيهما والحاكم عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ، والحبو : زحف الصغير على يديه ورجليه .
(٥) ـ رواه البخارى ومسلم والنسائي والترمذى عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ .
(٦) ـ حلية الأولياء : ٢/ ١٦٣ ، طبقات ابن سعد : ٥/ ١٣٣ ، ١٣٦ .

رُوِيَ عن عبد الله الهذلي : ((أن سعيد بن المسيّب كان يصوم الدهر ويفطر أيام التشريق بالمدينه)). (١)

والعلماء قد أختلفوا في صوم الدهر على ثلاث طوائف : فقد قال إبن حزم وإبن خزيمه وطائفة : أنه يحرم لما ورد فيه من الوعيد الشديد عن النبي ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ قال : ((من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا ، وقبض كفه)). (٢)

وقال اسحاق وأهل الظاهر ، وفي رواية عن أحمد : أنه يُكْرَهُ لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((لا صام من صام الأبد)). (٣)

((وهو أما محمول على معنى الدعاء عليه ، زجراً له عن صنيعه ، أو على سبيل الأخبار عن أنه لم يصم ولم تحصل له فضيلة الصوم ، بسبب مكابدته الجوع والظمأ)). (٤)

اما جمهور العلماء فقد قالوا بإستحباب صوم الدهر لمن أستطاعه وقد تأولوا أحاديث النهي عن صيام الدهر التي أعتمد عليها أصحاب الرأى الأول بأن المقصود بالنهي من صيام الدهر مع الأيام المنهي عنها ، من مثل أيام العيدين وأيام التشريق وهذا تأويل مردود لأنه قد نهي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما وقال له : ((بأن لنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، ولضيفك عليك حقاً)).

---

(١) ـ الطبقات الكبرى : ٥ / ١٠١ .
(٢) ـ رواه احمد عن أبي موسى الأشعرى ـ رضي الله عنه ـ .
(٣) ـ متفق عليه بين احمد والبخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ .
(٤) ـ أنظر اعلام المسلمين " سعيد بن المسيّب " / ٤٨ ، بتصرف .

اما الحديث الذى أعتمد عليه أصحاب الرأى الثاني وهو : ((لا صام من صام الأبد)) فمحمول على من كان يدخل على نفسه مشقة أو يفوت حقا ، فأبن المسيّب يصومه الأبد ما عدا الأيام المنهي عنها سائر على مذهب الجمهور من الصحابه . (١)

فقد روى عن يزيد بن أبي حازم : ((ان سعيد بن المسيّب كان يسرد الصوم)). (٢)

** — حجه : —

من المعلوم بأن الامام سعيد بن المسيّب قد عاش ما يقرب من ثمانين سنه وقد روى عن عبد الرحمن بن حرملة قال : سمعت سعيد بن المسيّب يقول :

((حججت أربعين حجه)) (٣) وبهذا يكون قد حج بقدر نصف سنين عمره تقريباً ، وقد كان تُقيا وصلاح الامام سعيد من العوامل التي جعلته لا يدع مجالا فيه سعة للتقرب الى الله بأحسن الاعمال والأفعال الخيره الاّ وطرق بابه والحج يعد من أفضل الأعمال الى الله بعد الايمان بالله والتصديق برسوله والجهاد في سبيل الله بالأنفس والمال ، فقد سئل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : أى العمل أفضل ؟ قال : ((ايمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور)). (٤)

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((الحجاج والعمّار وفد الله ، ان دعوه أجابهم ، وان أستغفروه غفر لهم)) (٥) واذا كان الحج المفروض مرة في العمر فان الأدلة قد تواترت على عظيم المثوبه في حج التطوع والحث عليه ويؤكد هذا الحديث القدسي الذى يقول الله عز وجل :

---

(١) — أنظر اعلام المسلمين " سعيد بن المسيّب " /٩٩ بتصرف .
(٢) — أنظر حلية الأولياء : ١٦٣/٢ ، صفة الصفوة : ٤٤/٢ ، تاريخ الاسلام : ٥/٤
(٣) — أنظر : تاريخ البخارى : ٤٦٨/٢ ،
(٤) — رواه البخارى ومسلم عن أبي هرير رضي الله عنه .
(٥) — رواه النسائي وابن ماجه ، وابن خزيمه ، وابن حبان في صحيحيهما عن ابي هريره رضي الله عنه .

((ان عبداً صحت له في جسمه ، ووسعت عليه في المعيشه ، تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد اليّ لمحروم))(١)

وهكذا فقد استجابت نفس سعيد الطاهره المطمئنه بالايمان لوعد الله ورسوله بالمسارعة والمبادره بالقدوم على الله في رحابه المقدسه والانقطاع له بطلب المغفره والعفو والرضوان ، أعواما تصل إلى نصف سني حياته .

ولقد أنقطع الامام للعمل الصالح والتقرب الى الله بالطاعات وطلب العلم الشرعي وتعليمه فيما بعد للنّاس ، ولهذا أصبح علم الامام حيّا لأنه عمل به في نفسه وعلمه لغيره من الناس وطلب من كل من تعلم على يديه العمل بما علم ، وهذا هو المطلوب اليوم من طلبه العلم أن يعملوا بما علموه من العلم وبالأخص العلوم الشرعيه لكي يصبح العلم حيّا ذا أثر محسوس في واقع الناس وفي توجيه سلوكهم والأرتقاء بهم الى مراتب التقى والصلاح لخلق جيل يترسم سنه السلف الصالح ويحيي ذكراهم .

** ـ أخلاقه ومظهره :ـ

مما لا شك فيه أن العالم المسلم المؤمن بربه والممتثل لرسوله والمتتبع لسنته العارف لنفسه قدرها ومكانتها في نفوس الناس وهو في نفس الوقت تعلوه سمات الفضائل وحميد الخلال لتجتمع فيه سماحة الخلق في تواضع جمّ ، وابن المسيّب حقا كان من هذه الأروسة بل لا أبالغ اذا قلت انه من اقطابها العظام ، فقد عُرف بأخلاقه وتواضعه في غير خنوع ولا إذلال يكف عمّا لا يعنيه من الأمور ، أتصف بتوقيره للعلم وأهله ، ومن خصاله الحميده صبره وصفحه عن خاصمه لأمر يتعلق بذاته فلم يجد الحقد والحسد طريقاً إلى قلبه المؤقن بالايمان .

---

(١) ـ رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي ، ومعني كونه محروما : أن محروم من الأجر ومطرود من رضوان الله .

قال مالك : ((ما أستوحش سعيد بن المسيّب الى احد ـ قط ـ خالفه)).[١]

روى عن عمران بن عبد الله الخزاعي ، قال : ((كان سعيد بن المسيّب لا يخاصم أحداً ولو أراد انسان رداءه رمى به اليه))[٢]

ومن الآثار التي تدل على أن ابن المسيّب كان أزهد الناس في الدنيا ولهوها وترك ما لا يعنيه قول ابن كثير : ((كان سعيد بن المسيّب من أزهد الناس في فضول الدنيا والكلام فيما لا يعنيه)). [٣]

ومن سمات تواضعه أنه رُوِي عن عاصم بن العباس قال : ((رأيت سعيد بن المسيّب يصافح كل من لقيه)). [٤] وبما أن التواضع من ميزات أصحاب الأخلاق الفاضله والسجايا الحميده والعلماء خير من تظهر على سلوكهم هذه السمات ذلك أن الدين قد صقل فيهم هذه الميزات والفضائل من التواضع وحسن الخلق ، كما أن الدين قد قوم شذوذ النفس وغطرستها وكبريائها في الأرض والقرآن والسنه وأقوال العلماء وقد أجتمعت على ذم الكبر والبراءة منه وأهله .

قال تعالى : ((سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق)). [٥] وقوله : ((أنه لا يحب المستكبرين)). [٦] وقوله تعالى على لسان لقمان الحكيم لأبنه : ((ولا تصعر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحا ، أنك لن تخرق الأرض ، ولن تبلغ الجبال طولاً)). [٧]

وقوله : ((ولا تمشِ في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور)). [٨]

---

(١) ـ الجرح والتعديل : ٢ / ٦١ .
(٢) ـ الطبقات الكبرى : ٥ / ٩٩ .
(٣) ـ أنظر فقه سعيد بن المسيب : ١ / ٣٠ .
(٤) ـ أنظر : البدايه والنهايه : ٩ / ١٠٠ ، الطبقات الكبرى : ٥ / ٩٨ .
(٥) ـ سوره الأعراف الايه : ١٤٦ .
(٦) ـ سوره النحل الآيه : ٢٣ .
(٧) ـ سوره الاسراء ، الآيه : ٣٧ .
(٨) ـ سوره لقمان ، الآيه ١٨ .

ومن السنه قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : ((لا يدخل الجنه من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر)) . (١)

ولقد وصف الرسول — عليه الصلاة والسلام — المتكبرين بالحقارة والهوان يوم القيامة بقوله : ((يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر ، تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى)) . (٢)

وقوله : ((من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله ، ومن أرتفع عليه وضعه الله)). (٣)

وكذلك العلماء المسلمون أجمعوا أن علاج الكبر بالغفل هو التواضع لله ثم لخلقه ولن يتم الا بكبح جماح النفس وتعويدها على استعمال اخلاق المتواضعين . (٤)

وهكذا نرى أن سعيدا قد أستوعب هذه النصوص ، ولهذا فقد التزم بأحكام الاسلام الروحية التعبدية والخلقيه وطبق كل ذلك في واقعه الحياتي وعلاقته بالناس بمنتهى الأخلاق والتواضع تحسباً لما وعد به الرسول — صلى الله عليه وسلم — بقوله : ((أن من احبكم إليّ ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ....)). (٥)

وقد أكد الإمام سعيد بن المسيّب هذا بنفسه بقوله : ((يد الله فوق عباده ، فمن رفع نفسه وضعه الله ومن وضعها رفعه الله)) . (٦)

وعن عمران بن عبد الله قال : ((أرى نفس سعيد بن المسيّب كانت أهون عليه في الله من نفس ذياب)). (٧) مع أنه قد عرف بأبائه وعزة نفسه وترفعها عن سفاسف الأمور .

---

(١) — اخرجه مسلم من حديث أبن مسعود — رضي الله عنه — .
(٢) — رواه البزار من حديث أبي هريره — رضي الله عنه — وأسناده حسن .
(٣) — رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريره — رضي الله عنه — .
(٤) — احياء علوم الدين : ٣/٣٠٧ ،
(٥) — رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب ، رواه أحمد والطبراني من حديث جابر رضي الله عنه ، ورواه أبن حبان في صحيحه من حديث أبي ثعلبه .
(٦) — حلية الأولياء : ٢/١٦٦ .
(٧) — تاريخ الذهبي : ٤/٦ .

أمّا مظهره :-

فقد كان يحرص على أن يكون مظهره في لباسه ونظافة جسمه فيما يليق بمكانته العلميه والدينيه بينما كانت تعف نفسه عن مواطن الخفة التي تزل بأقدار الرجال ككثرة الضحك والكلام فيما لا يفيد ، ومن السمات التي كان ابن المسيّب يتمسك بها أنه كان يقلم اظافره ويحف شاربه وينظف شعر أبطه وعانته ولا يدعها لوقت طويل دون ان يتعهدها .

رُوى عن عاصم بن العباس الأسدي قال : ((رأيت سعيد بن المسيّب لا يدع ظفره يطول ورأيته يكره كثرة الضحك ، ورأيته يتوضأ كلّما بال ، وإذا توضأ شبّك بين أُصابعه))(١).

ولأن اللباس أكثر الأشياء التي تضفي على الشخص رونقاً وجمالاً ولذلك فقد كان يعتني بتنويع ملبسه وتنظيفه .

قال عمران بن عبد الله : ((ما أحصي ما رأيت على سعيد بن المسيّب من عدة قمص الهروي))(٢).

وقال : ((كان يلبس هذه البرود (٣) الغالية البيض))(٤).

ولذلك فقد علا جانبيه وعزّ مظهره وتمكن احترامه وحبه في قلوب الناس على مختلف مشاربهم الاجتماعية الأمراء والعامه .

رُوى عن مالك : أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : ((ما كان عالم بالمدينه الاّ ويأتيني بعلمه ، وأُوتى بما عند سعيد بن المسيّب))(٥).

ولقد كان لأبن المسيّب من المكانة والمهابة في نفوس الناس جميعاً ، قال ابن حرمله : ((ماكان انسان يجترئ على سعيد بن المسيّب ـ يسأله عن شيء ـ حتي يستأذنه كما يستأذن الأمير))(٦).

---

(١) ـ الطبقات الكبرى : ٥/٩٩ .
(٢) ـ "الهروى" : أى نسبة الى مدينة هرأة وهي من كبريات مدن خراسان .
أنظر : " مراصد الاطلاع " : ٣/١١٥٥ ، المصباح : ٢/٩٨٦ .
(٣) ـ البرود : أى جمع برده ، وهي : الشملة المخططه ، النهايه : ١/٧٢ .
(٤) ـ الطبقات الكبرى : ٥/٩٩ .
(٥) ـ صفه الصفوه : ٢/٤٤ .
(٦) ـ حلية الاولياء : ٢/١٧٣ .

والحق أن المطلع على سيرة سعيد يجد أنه قد تميز بخصال قلَّما توجد عند امثاله .

روى عن الزهري قال : ((كان لسعيد بن المسيّب عند الناس قدر عظيم ، ومجانبة السلطان ، وعلم الا يشاركه علم ، ورأى صليب ، ونعم العون الرأيِ الجيد)). (١)

** ـ زهده وتكسبه :

كما كان ابن المسيّب نموذجاً فريداً في كل احواله وخصائصه ، ظلَّ كذلك العابد الزاهد عمّا في أيدي النّاس ، فكان يتورع أن يقبل من أحد من الناس شيئاً الأمراء والعامه على السواء ، قال ابن كثير : ((كان سعيد بن المسيّب من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه ، وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا)). (٢)

ولهذا حرص الامام بأن لا يقبل شيئاً من أحد لا ديناراً ولا درهماً ولا خلاف ذلك مما هو أقلّ حتي أنه كانت تُعطىٰ له المشروبات في رمضان بمسجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيمتنع وينتظر حتى يأتي شراب من بيته فيشرب وان لم يؤت من منزله بشيءٍ لم يشرب حتى ينصرف الى داره . (٣) ولقد بقيت الأماكن التي يتواجد فيها سعيد معروفه عند الناس ، يقول : ((ما ظلني بالمدينة بيت بعدُ ، إلاّ أني أتي أبنةً لي فأسلّم عليها أحياناً)). (٤)

وهكذا بقي الزهد سمة من سمات ابن المسيّب التي لم يغيرها طول حياته على الرغم مما كان يجري من المحاولات على مختلف المستويات والأصعده بدليل ما قيل :

((كان لسعيد بن المسيّب في بيت المال بضعه (٥) وثلاثون ألفاً عطاء (٦) فكان يُدعىٰ

---

(١) ـ أنظر الطبقات الكبرى : ٢ / ١٢١ .
(٢) ـ البدايه والنهايه : ٩ / ١٠٠ .
(٣) ـ الطبقات الكبرى : ٥ / ٩٩ بتصرف .
(٤) ـ حلية الأولياء : ٢ / ١٦٤ ، الطبقات الكبرى : ٥ / ٩٧ .
(٥) ـ البضع : بكسر الباء وفتحها ، والكسر أشهر ـ العدد من ثلاثة الى تسعه ، وقيل ما بين الواحد الى العشره أنظر : " البداية والنهاية " : ١ / ٨٢ .
(٦) ـ العطاء : ما يفرض للانسان من بيت المال كل سنه ، أنظر : كشاف اصطلاح الفنون : ٤ / ١٠٧٦ .

اليها فيأبي)) [1] وقد سلك الامام لنفسه مسلكاً حميداً يكسب فيه رزقه وقوت عياله ويستغني به عن الحاجة الى النّاس عامه وهذا الاتجاه هو الذي جعل منه شجاعاً في قول الحق والصدع به لا يخاف من انقطاع عطايا السلطان وصلاته أو تفضل غيره من الناس .

ولقد بين الامام السبب الذى من اجله كان يكسب رزقه بنفسه ، فقد كان له مالا يتجر فيه ويعيش من ريع أرباحه ، ولذلك كان يقول : ((اللهم إنك تعلم أني لم امسكه بخلاً ولا حرصاً عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وانما أريد أن أصون به وجهي ، وأصل منه رحمي ، وأودي منه الحقوق التى فيه ، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار)). [2] وفعلا فقد كان فعل الإمام سعيد يسبق قوله وليس أدل على ذلك من أعطياته وهباته التى كان يجود بها بلا حساب .

ذكر ابن كثير : ((أن سعيد بن المسيّب زوج ابنته لكثير بن أبي وداعه على درهمين وأرسل اليه بخمسة الآف ، وقيل بعشرين ألفاً ، وقال له : أستنفق هذه)). [3]

ولذلك فقد كان لأبن المسيّب أراءه في التكسب والتجارة حيث يذكر عنه أنه كان له بضاعة بمقدار ربعمائة دينار .

وعرف بكثرة الأختلاف والتردد على السوق وكانت تجارته في الزيت ، وكان من أراءه ما يحث فيها غيره على وجوب كسب المال من طرقه المشروعه والتجارة تعتبر الطريقه السليمه للكسب الحلال خاصة اذا خلت من الغش والخداع والتدليس في المبيع فكان كسبها حلال نظيف من الربا .

وكان له رأي فيمن لا يجمع المال ولا يطلبه من وجوهه المشروعه اذ يقول :

((لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حلّه ويعطي منه حقوقه ويكفي به وجهه عن الناس)). [4]

---

(١) ــ الطبقات الكبرى : ٥ / ٩٥ ، حلية الأولياء : ٢ / ١٦٦ ، وفيات الاعيان : ٢ / ١٧٧

(٢) ــ البدايه والنهايه : ٩ / ١٠١ .

(٣) ــ البدايه والنهايه : ٩ / ١٠٠ .

(٤) ــ حلية الأولياء : ٢ / ١٧٣ .

ويقول أيضاً :

((لا خير فيمن لا يطلب هذا المال ، يقضي به دينه ، ويصون به عرضه)). (١)

(٤) ـ طلبه للعلم :ـ

تميز عصر ابن المسيّب بأن العلوم لم تكن تدون وانما كان وعاءها الصدور وما تختزنه العقول من الأفكار ولذلك فكان الغالب على الناس في ذلك العصر حدة الذكاء والذاكرة القويه وملكت الحفظ الجيد ، وسعيد بن المسيّب قد منحه الله ذكاء خارق وذاكرة قويه وقدرة على حفظ المعلومات التي يسمعها وتخزينها ليذكرها حتى ولو طال به الزمن ولذلك يذكر نعي عمر بن الخطاب على المنبر للنعمان بن مقرن وسعيد ابن سبع سنين . (٢)

والمزايا الجيده في ذكاء ابن المسيّب أستيعابه لكل الأحداث والمواقف التي سمعها وهو في سن مبكره جداً ، ولهذا فقد قال عنه عمران : ((والله ما أراه مرّ على أذنه شيءٌ قط إلاّ وعاه قلبه)). (٣) وهذه الحدة في الذكاء والقدره على حفظ المعلومات قلّما تجتمع في أتراب ابن المسيّب أو في معاصريه .

ولهذا فقد كان من العوامل المهمة في نبوغه في طلب العلم ذكاءه المتوقد وحافظته القويه ، وكان من عرفه من كبار الصحابه لم يبخل عليه بإسماعه كل مالديه من العلم والحديث ، وهكذا فقد سلك الامام سعيد في طلب العلم الطريقة المعروفه في عصره وهي : ذهاب الطالب للألتقاء بالعلماء في أماكن تواجدهم في المساجد أو البيوت أو النوادي العلمية والأدبية ، وقد يتطلب الموقف أنتقال الطالب للعلم في الرحلة والسفر الى بلدان أخرى يتواجد فيها العلماء إلاّ ان المدينه المنوره كانت المكان الذى نشأ

---

(١) ـ القرطبي : ٣/ ٤٢٠ .

(٢) ـ انظر : سير أعلام النبلاء : ١/ ٢٨٩ ، تهذيب التهذيب : ٤/ ٨٥ .
النعمان بن مقرن : هو النعمان بن مقرن المزني ، الصحابي الجليل ـ رضي الله عنه ـ وهو ايضا قائد عظيم نعاه عمر بن الخطاب على المنبر حين بلغه استشهاده في موقعه نهاوند سنة احدى وعشرين من الهجره .

(٣) ـ الطبقات الكبرى : ٥/ ٩٠ .

فيه الامام وعليه وجد علماء الصحابة الكبار الذين سمع منهم الامام وأخذ عنهم العلم.(١) فقد أدرك جمع غفير من كبار الصحابة وفقهائهم من الرجال والنساء فكان بالمدينة في عصر الامام العشرة المبشرين بالجنة عدا أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — وغيرهم من الصحابة كزيد بن ثابت ، وأبو هريره ، وزوجات الرسول — صلى الله عليه وسلم — أمهات المؤمنين وغيرهم من الصحابة . (٢)

وقد أنقطع الامام سعيد في شبابه لطلب العلم ، فلم يزل هذا طريقه ودينه حتى أصبح أعلم أهل عصره بالحديث وعلومه والقرآن الكريم وتفسيره وأجتهادات الخلفاء الراشدين وأقضيتهم ، ولذلك فقد روى عن سعيد أنه قال : ((ما بقي أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبو بكر وعمر ، مني))•

وقال الزهري أيضا : ((كان يقال : ليس أحد أعلم بكل ما قضى به عمر وعثمان منه))• (٣) ولما بذله الامام ابن المسيّب من جهد في طلب العلم وتحصيله ولكل ما وهبه الله من حدة في الفهم وسرعه في الادراك واستيعاب للأفكار والمعاني مع الدأب والحب للعلم والمعرفه أستطاع في عصره أن يحصل عن جدارة وثقه : على لقب فقيه الفقهاء وامام التابعين . (٤)

وفي هذا الوقت الذي أصبح فيه ابن المسيّب من المشار إليهم بالعلم والمعرفه وصار في وضع يتوجب عليه نشر ما لديه من العلم والمعرفه للناس وشرحه لهم ولذلك حدد له مكاناً معين في مسجد الرسول — صلى الله عليه وسلم — وفي هذا المكان أخذ يجلس

---

(١) — مبلغ علمي فيما أطلعت عليه من المصادر التاريخيه أن تلك المصادر لم تبين الاماكن التي رحل اليها في طلب العلم غير ما رُوِيَ عن مالك بن أنس قال : بلغني أن سعيد ابن المسيب قال : " ان كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد " .

(٢) — أنظر فقه الامام سعيد بن المسيّب : ١/ ٢٥ بتصرف .

(٣) — أنظر الطبقات الكبرى : ٢/ ١٢٩ ، تاريخ البخاري : ٢/ ٤٦٨ .

(٤) — انظر : الكواكب الدريه : ١/ ١١٣ .

فيه وظلت رسل الأمراء والولاة يستفتونه عن كل ما أعترضهم من مشاكل وأقضيه ويأتيه ايضا طلبة العلم ومحبوا المعرفه فيأخذوا عنه وأيضا كان يجلس اليه محبوا العلم من كبار الصحابة الذين كانوا معجبين بعلمه حتى أن بعضهم كان يرسل اليه فيسأله عن بعض ما خفي عليهم ، كأمثال : عبد الله بن عمر " رضي الله عنهما " الذى كان يرسل الى سعيد بن المسيّب يسأله عن بعض شأن عمر وأمره . (١)

وروى عن يحيي بن سعيد قال : ((كان عبد الله بن عمر اذا سئل عن الشيء يشكل عليه ، قال : سلوا سعيد بن المسيّب ، فانه قد جالس الصالحين)). (٢)

وللمكانة التي وصل اليها الامام كأحد العلماء العظام رُوِيَ : ((أن ابن عمر سأله رجل عن مسألةٍ ، فقال له : أيت ذاك فسله — يعني — سعيد بن المسيّب — ثم أرجع إليّ وأخبرني ، ففعل ذلك فأخبره فقال : يعني أبن عمر — ألم أخبرك بأنه أحد العلماء)). (٣) والأمراء والولاه كانوا يستفتون أبن المسيّب فيما يشكل عليهم من أقضيه ومن ذلك ما ذكره ابن سعد وغيره : ((أن عمر بن عبد العزيز — لمّا كان أميراً على المدينه — كان لا يقضي قضاءً حتى يسأل سعيد بن المسيّب)). (٤)

وحري بمن كانت هذه منزلته عند كبار الصحابه والتابعين أن يتهيبه الناس ويعرفوا له مكانته وأحترامه لعلمه وورعه وفضله ، وقد قال الرسول — صلى الله عليه وسلم — في فضل العلماء ما نصه : ((وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وأن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)). (٥)

---

(١) — البدايه والنهايه : ٩ / ١٠٠ ، تهذيب التهذيب : ٤ / ٨٦ .
(٢) — الطبقات الكبرى : ٥ / ١٠٤ .
(٣) — انظر : طبقات الفقهاء / ٥٧ ، وفيات الأعيان : ٢ / ١١٧ .
(٤) — الطبقات الكبرى : ٢ / ١٣٠ ، البدايه والنهايه : ٩ / ١٩٤ .
(٥) — رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي من حديث ابي الدرداء — رضي الله عنه — .

وهكذا فقد كان الامام سعيد بن المسيّب حظي بهذا الفضل لما أورثه الله من علم النبوة ولما تحلى به من خصال البر والخير والورع والتواضع والزهد والامانه ، والصدع بكلمة الحق مهما كانت النتائج .

وجدير بأبن المسيّب أن يصل الى ما وصل اليه من الفضل لمكانته المرموقه وأن يشتهر بعلمه الغزير لأن شيوخه الذين جمع عنهم هذا العلم هم كبار الصحابه من الرجال والنساء حتى أن بعض الروايات التاريخيه تذكر أن سعيد قد أخذ علمه عن ما يزيد على ثمانية وأربعين صحابي وصحابيه من كبار شيوخ الصحابه وفطاحل العلم فيهم ، وبالقدر الذى أخذ به أبن المسيّب العلم وما خالط ذلك من الصبر والدأب والجهد ، بهذه الكيفيه وأكثر كان ينشر علمه بين عامة الناس بصفةٍ عامه وبين تلاميذه بصفةٍ خاصه حتى قيل في بعض الروايات بأن تلاميذه بلغوا ما يزيد على التسعين ، وقد تأثروا بهذا العلم فكان منهم العابد الفقيه الورع والامام المحدث الزاهد ، ولأنهم من الكثرة بحيث يصعب حصرهم وسرد اسمائهم فانني اكتفف بذكر أشهر تلاميذه وهو الخليفه الزاهد والفقيه المجتهد أمير المؤمنين : عمر بن عبد العزيز بن مروان ، والذى رُوى : أنه لما ولّي أمارة المدينه كان لا يقضي قضاء حتي يسأل سعيد بن المسيّب . (١)

==========

---

(١) ــ الطبقات الكبرى : ج ٢ / ١٣٠ .

(٥) ــ عــزه نفســه ، وموارد رزقــه ، ورأيــه في الفقر والغنى :ــ

** ــ عــزه نفســه :ــ

كما كان أبن المسيّب نموذجا فريداً في كل شؤون من شئون حياته ، فقد كان مثالا رائعــاً في عــزة النفس والاباء والتعفف عن أن يمد يده لفضل أحــد عليه حتى ولــو كان هذا من مخصصــاته وعطايــاه من بيت المال ، ذلك أنه قد مــر معنا في الكــلام عن زهــده أنــه كان لســعيد بن المسيّب في بيت المال بضعــة وثلاثون ألفاً عطــــاء فيدعي اليهــا فيأبي . (١)

كما أنــه لا يقبــل العطــايا والهبــات من أي أحــد حتى ولو كانت بطريــق الهديــــه وذلك لتعففــه وعــزة نفســه ــ رضي الله عنــه ــ حرصاً منه لكي لا يكون لأحــد فضــل عليــه إذ راكا لخطــورة ذلك عليه وعلى كلمــة الحق التي بقيت مرفوعــة يصدع بهــا فــي وجــوه الخلفــاء والأمــراء والولاة في شــجاعة وعــزة وثقــة بالله وحده ، يدفعــه الى ذلك ويمليــه عليــه دينــه وعلمــه وفكــره ودرايتــه بما يجب أن تسير عليه الأمور لتصلــح بذلك أمر الدنيا والآخــره وفق شــرع الله .

ولقــد أســتطاع ابن المسيّب بفطرته الطاهره والنقيه أن يحافظ علــى عزة نفســه في أبــاء وتعفــف فأختــط لنفســه وســيلة تعينــه على تحقيق ذلك فكان يكسب رزقــه بنفســه وبيّن الســبب الذي جعلــه يشــتغل بجمــع المال والتجــارة فيــه ، ليصــون بــه وجهــه عن ذل المســألة ويصــل منــه رحمــه ويؤدي فيــه جميع الحقــوق والواجبــات وبقناعتــه المعهــوده المقرونة بالزهــد وعــزة النفس كان سعيد بن المسيّب مثــالاً فريداً في العــزة والإكبار ومنــاط الشــهرة والصيت الحسن في نزاهته وترفعه ونموذجا حيّــا يحتذى ، وهذه العــزه والتعفف لأبن المسيّب لم تنحصر فقط في الجانب المادى وانما لهــا

---

(١) ــ حلية الأولياء : ٢/١٦٦ ، وفيات الاعيان : ٢/١١٧ .

دور في الجانب المعنوي ، فقد أمتزجت تلك العزه بكل أعماله وتصرفاته وطبعتها وأضفت عليها عزة المؤمن وورعه وتعففه وهذا مصداق قول الله تعالى :

((والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون)). (١)

ولهذا فقد كانت العزة التي أعتز بها الامام : هي عزة الاسلام ليقينه أن المسلم مهما طلب العزة والشرف في غير الاسلام أذله الله ، بذلك فلم تكن عزة سعيد وإباؤه وعفته ترجع لنسبه ولا لأيِ معنى أخر غير عزة المؤمن .

والحقيقة أن بعضاً من خلفاء بني مروان حاولوا أن يتقربوا الى ابن المسيّب لينضم صوته الى صفهم ، ولكنه فوت عليهم هذه الرغبة على الرغم من استغلال المواقف بشتى الوسائل لتحقيق هذا المطلب ولذلك بقي سعيد بن المسيّب في نظر الناس عزيز النفس : ((فلم تأخذه في الله لومة لائم ، صاحب عباده وجماعه وعفه وقناعه ، وكان كإسمه بالطاعات سعيداً ، ومن المعاصي والجهالات بعيداً)). (٢)

= = = = = = = = = = = = = = =

---

(١) — سوره المنافقين ، الآيه : ٨ .
(٢) — حلية الأولياء : ٢ / ١٦١ .

** ـ موارد رزقه :ـ

وكما كان ابن المسيّب لا يدع باباً فيه عزة وشرف الاّ وطرقه ولا بابا فيه ريبة ودناءه الاّ أغلقه ، ليبقى سعيداً مكرماً عند الله ثم موضع الاحترام والتقدير عند خلقه ، وفعلا عمل سعيد على تعميق هذا الشعور وترسيخه في نفوس الناس عامه .

ولذلك كان شديد الحرص على أن يكون مورد رزقه من كسب يده وعرق جبينه وعمل بحرص منقطع النظير على أن لا يأتيه ولا يدخل عليه شيء من خلاف هذا الباب وبهذا اكثر من ارتياد السوق والأختلاف اليه فكان يتجر في الزيت وغيره .

قال ابن كثير : ((كان يحمل إهاب الشاة على ظهره ، وكان له مال يتجر فيه (١) وإشتغال الامام بكسب قوته بجهده الخاص قد ساعده على الترفع عمّا في أيدي الناس كما أن قناعته ورضا نفسه وتدينه كانت من الروافد المهمة التي ذللت له كل ذلك

روى عن العجلي أنه قال : ((كانت له بضاعة أربعمائة دينار ، وكان يتجر في الزيت)) . (٢)

وقد كان الامام يحث معارفه ومحبيه وتلاميذه على كسب المال وتحصيله من مصادره المشروعه كالزراعة والتجارة وغيرها ، وكان يطبق هذا القول على نفسه في جعل مورد رزقه من كسب يده لأنه يرى أن من عوامل حرية الإنسان الاستغناء عن الناس وعدم الحاجة إليهم ، وقد بين الإمام الهدف الذي جعله يتجه الى كسب ماله بنفسه دون الحاجه الى أحد ، وكلام أبن المسيّب هذا يصدقه الواقع والعقل والحس فان الذي يرتبط بالوظائف الحكوميه أو يأخذ شيئاً من أعطيات الحكام وهباتهم يبيع ضميره ويسكت عن قول كلمة الحق لأنه بقبول هذه العطايا قد ساعد في أخراس لسانه عن النطق بالحق ، وهذا ما جعل الإمام يتجه الى الحرفة الحرّه ليكسب رزقه

---

(١) ـ أنظر : البدايه والنهايه : ٩/ ١٠١ .
(٢) ـ أنظر : المصدر السابق : ٩/ ١٠٠ .

في شرف وعزة نفس وليظل دائما بعيدا عن أفضال احد عليه ثم لعلمه بأن أطيب المكاسب ما كان من عمل اليد وعرق الجبين لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما أكل احد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)). (١)

ثم أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — سئل أيِ الكسب أطيب ؟ قال : ((عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور)). (٢)

وقد اجمع العلماء على أن أفضل المكاسب هي العمل في الزراعه والتجاره بعد ما يكسبه المسلمون من الكفار في الجهاد لأن في ذلك أعلاء لكلمة الله تعالى واذلال لكلمة الكفر ، ولعل أطيب المكاسب في الزراعة لكونه عمل أليد ، ولما فيه من التوكل على الله ، ومن النفع للنّاس والدواب والطيور ، أمّا التجاره فدليل فضلها قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — :

((تسعة أعشار الرزق في التجاره والعشر في المواشي)). (٣)

** — رأى الامام في الفقر والغنى :—

لعل من البديهات في عرف النّاس عامه أن المال وجمعه يحتل مكان الصداره في النفوس ويدل على ذلك قول الحق جل جلاله : ((وتحبون المال حباً جمّاً)). (٤) ولقد وصف الله هذا الحب للمال والخير بأنه حبّ شديد ، على تفاوت في درجات هذا الحب بين النّاس .

---

(١) — أخرجه البخارى من حديث المقدام مرفوعا .
(٢) — رواه البزار وصححه الحاكم ورواه ابن حجر في التلخيص عن رافع بن خديج .
(٣) — رواه سعيد بن منصور في سننه عن : نعيم بن عبد الرحمن الازدى ، ويحيي بن جابر الطائي مرسلا ، وهو حديث حسن .
(٤) — سورة الفجر ، الآيه ٢٠ .

وقد قال الله تعالى : ((وانه لحب الخير لشديد)). [1]

والحق أن المال هو عصب الحياة ومن الأشياء المهمة التي تحفظ للنفس العزة والكرامه وتصون ماء الوجه عن المسألة والحاجة الى الناس ، ولذلك فان جمع المال وتحصيله من الوجوه المشروعه من الأمور التي يحث عليها الدين لأنه يعين بعد الله على النوائب والأزمات ومعين أيضاً على الوجبات الدينيه وفيه ارضاء لله .

وبما أن المال يُعد من الفضائل عند الرجل الصالح الذي يعرف حق الله فيه فيؤدي حقه ولذلك فالمال يعتبر بمثابة السلاح للمؤمن ، ولهذا فان المال لا يكون مذموماً إذا جمع وأنفق بالطرق الشرعيه .

أما اذا جمع من الوجوه غير المشروعه أو أُنفق في المعاصي ومنع حق الله فيه من الزكاة والصدقه فانه يصبح مذموماً لأنه في هذه الحالة يُعد من العوائق التي تفصل بين الانسان وصلته بالله وقربه منه .

وقد قال بعض السلف : من أدعى بغض الدنيا فهو عندي كذّاب إلى أن يثبت صدقه ، فاذا ثبت صدقه فهو مجنون [2] ذلك أن النفوس قد جبلت على حب الدنيا ومن ذلك انه كان كبار الصحابة والسابقين الى الاسلام مثل أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — الذي كان يسافر للتجارة زمن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلا ينهاه عن ذلك وهذا دليل فعلي على أن جمع المال مشروع وفق القواعد الشرعيه وعلى هذه السنه سار كبار التابعين في جمع المال والتجارة فيه وتحصيله بالطرق الشرعيه واعطاء حق الله فيه ، وكان على رأس هؤلاء الامام سعيد ابن المسيّب الذي كان يعمل بالتجاره لحسابه الخاص ، وبذلك جمع المال لا حب فيه ولا بخلاً به ، وانما كما مرّ ليصون به وجهه عن المسألة من أحد ، ويصل منه رحمه ويعود منه الأرملة

---

(١) — سوره العاديات ، الآيه : ٨ .

(٢) — صيد الخاطر : ١/ ٢١٦ .

والفقير والمسكين واليتيم والجار ويؤدي حقوق الله فيه ، وقد ثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قوله : ((نعم العون على الدين قوت سنه)). (١)

وبما أن ابن المسيّب كان صاحب علم ودين ، لذلك فهو يعلم بأن المال يعتبر من أهم العوامل التي تساعده على حفظ دينه ومكانته العلميه ، بهذا عمل بالتجارة كحرفة حرّة جمع منها المال الذى أغناه عن الحاجه الى أحد مهما كان ، وكان يقول : ((لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله ولا يعطي منه حقه ، ويكف به وجهه عن الناس)).

وقال أيضاً : ((لا خير فيمن لا يحب هذا المال ، يصل به رحمه ، ويؤدى به أمانته ، ويستغني به عن خلق ربه)).

ولذلك قال يحيى بن سعيد إن ابن المسيّب مات وترك الغين أو ثلاثه آلاف دينار، وقال سعيد بن المسيّب : ((ما تركتها — أي الألفين أو الثلاثه الآف دينار — الاّ لأصون بها ديني وحسبي)). (٢)

ومما كان يقوله في جمعه المال وتحصيله : ((انما أريد أن أصون به وجهي عن بني مروان ، حتى ألقى الله ، فيحكم فيّ وفيهم)). (٣)

ومما يذكر عن أبن الجوزي في نفع المال للعلماء قوله : ((ليس في الدنيا أنفع للعلماء من المال ، للأستغناء عن الناس ، فانه اذا ضم الى العلم حيز الكمال ، وأن جمهور العلماء شغلهم العلم عن الكسب فأحتاجوا الى ما لا بد منه ، وقلّ الصبر، فدخلوا مداخل شأنتهم ، ولن تأولوا فيها ، إلاّ أن غيرها كان أحسن لهم. (٤)

---

(١) — رواه الديلمي في مسند الفردوس : عن معاويه بن حيدة .
(٢) — راجع حلية الأولياء : ٢/ ١٧٣ ، طبقات الشعراني : ١/ ٣٠ ، طبقات ابن سعد ٥/ ١٣٦ ، نقد العلم والعلماء : ص ١٧٥ .
(٣) — انظر البداية والنهايه : ٢/ ١٧٣ .
(٤) — انظر : صيد الخاطر : ٢/ ٢٢٧ ، وما بعدها ، نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس لأبن الجوزى : ص ١٧٥ .

فواضح مما تقدم أن رأي الامام في جمع المال وتحصيله هو من الأمور المستحبه وقد يصل الى درجه الوجوب اذا أقترن بسد حاجة المرء عن غيره من النّاس وهذا الرأي منبثق عن الدين وموافق لرأي غيره من الصحابه والتابعين ، أما رأيه في الغنى والفقر فهو مرتبط بحالة الفقير والغني ، وما هو عليه من معرفة الله ومخافته ، ذلك أن الفقر احياناً يكون مدعاة لمخافة الله وطاعته ، في الوقت الذي يكون الغنى سبباً للطغيان والفسق ولذلك فالفقر في مثل هذه الحالة افضل من الغنى .

قال تعالى :

((ان الانسان ليطغى ✓ أن رآه استغنى)). (١)

ولكن اذا كان الغنى يؤدي إلي أداء حقوق الله في المال وقيام صاحبه بطاعة ربه ، فهو في الدنيا بهذه الحاله أفضل من الفقر ، لأن الغني الذى يؤدي حقوق الله فيه وينفق ما له في وجوه الخير من الجهاد وخلافة كما كان يفعل عثمان بن عفان ـ رضي اللّهُ عنه ـ الذي كان يجهّز جيشاً بكامله بكل العتاد والمؤن ولذلك فالغني أكثر فائده للأمة في حياتها ، ويجني صاحبه القائم بحق الله فيه من الثواب في الآخره ما الله به عليم .

وقد قال ابن عطاء : ((الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر)). (٢)

ورأي العلماء في الفقر والغنى وسعيد بن المسيّب واحد منهم يتمثل في أن الغني المنفق في وجوه الخير أفضل في الآخره من الفقير الحريص .

فان كان الغني متمتعا بالمال في المباحات ، فالفقير القانع في هذه الحاله أفضل منه . (٣) ولذلك فأدلة تفضيل الفقر من الآيات والأحاديث من أمثال قوله تعالى:

---

(١) ـ سوره العلق ، الآيتان : ٦ ، ٧ .
(٢) ـ أنظر : احياء علوم الدين : ٤/١٧٣ .
(٣) ـ أنظر : احياء علوم الدين : ٤/١٧٣ .

((للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض)) . [١]

وقوله : ((للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم)) . [٢]

أما الدليل من الاحاديث فمنها قوله — صلى الله عليه وسلم — :

((يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام)). [٣]

ولهذا فرأي الامام في الفقر والغنى لا يخرج عن ما دلت عليه هذه النصوص وما أجمع عليه أكثر العلماء مما سبق ذكره ، ولعل مما يدل تاريخياً على أن الامام كان يرى أن الفقير القانع أفضل من الغني الذي يتمتع بالمال في المباحات ، أنه قد أمتنع عن تزويج ابنته للوليد بن عبد الملك وهو أبن الخليفة وولي عهده مع علم الامام سعيد بما يسببه له هذا الرفض ، ولكنه رفض هذا الطلب للخليفة في سبيل أن يضرب المثل الحي للنّاس بتطبيق مبادئ الدين الحنيف في حياته الاجتماعيه ، فقد كانت نظرته للناس تنطلق من تمسكه بدينه وحرصه على تنفيذ تعاليمه ، ولذلك فمقدار الناس يقاس عنده من هذا المنطلق لا بجاهه ولا ثروه أو سلطان ولهذا فقد زوج ابنته من طالب كان يجالسه لطلب العلم يقال له : كثير بن المطلب بن أبي وداعة وهو من قريش وطالب علم فقير لا يملك غير درهمين أو ثلاثه من حطام الدنيا ومع هذا فقد أثر سعيد بن المسيّب بأبنته الى هذا الشاب الفقير بعد أن توسم فيه الصلاح والتقوى ولأن الامام لا يرى أن الفقر مع التقوى فيه منقصه للرجال ، بعد أن كان قد رفض طلب الخليفه عبد الملك لتزويجها لأبنه الوليد لأنه لا يرى الجاه والسلطة ومظاهر الحياة الدنيا . [٤]

---

(١) — سوره البقره : الآيه : ٢٧٣ .

(٢) — سوره الحشر : الآيه : ٨ .

(٣) — رواه الترمذي في سننه : ٤/٧ و ٨ و ٩ ، عن أبي هريره — رضي الله عنه — ورواه الامام احمد في مسنده : ٢/٢٩٦ ، وزاد" وفقراء المؤمنين "عن ابي هريره .

(٤) — حلية الأولياء : ٢/١٦٧ ، البداية والنهايه : ٩/١٠٠ .

مناقب في نظر الدين تجعل خطبة الخاطب مقبولة ومفضله على غيره من اصحاب التقى والصلاح ، مع العلم أن عبد الملك قد أحتال عليه ليرغمه لقبول ذلك حتى ضربه بالسياط ولكنه ثبت على موقفه . (١)

واليك القصة كما حدثت :-

روى عن يحيى بن سعيد قال :

كان لسعيد بن المسيّب جليس ، يقال له : عبد الله (٢) بن أبي وداعه ، فأبطأ عليه أياماً فسأل عنه ، فقيل له : أن سعيد بن المسيّب سأل عنك ، فأتاه فسلم عليه ثم جلس ، فقال له سعيد أين كانت غيبتك ؟ فقال : أن أهلي مرضت فمرضتها ثم ماتت فدفنتها ، فقال : يا عبد الله أفلا أعلمتنا بمرضها فنعود ها ، أو بموتها فنشهد جنازتها ؟ ثم عزّاه ودعا له ولها ، ثم قال : يا عبد الله تزوج ، ولا تلق الله وأنت أعزب . فقال : يرحمك الله ، ومن يزوجني ؟ وما أملك غير درهمين أو ثلاثه ، فقال يا سبحان الله أو ليس في ذلك ما يستعف به الرجل المسلم ، يا عبد الله أنا أزوجك أن رضيت .

قال : عبد الله : فسكت استحياء منه واعظاماً لمكانته .

فقال سعيد : مالك سكت ؟ لعلّك قد سخطت ما عرضنا عليك ؟ ثم قال : أو تفعل ؟ قال : نعم ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - وزوجني على درهمين أو قال ثلاثه .

قال ابي وداعه : فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح ، فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن أخذ وممن أستدين ، فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي ، واسترحت

---

(١) - البدايه والنهايه الصفحه السابقه .

(٢) - قال عبد الله بن سليمان الاشعث : ابن ابي وداعه ، هو : كثير بن المطلب ابن ابي وداعه ، " حلية الأولياء : ٢/٨٦٩ " ، وهو شاب من قريش على ما ذكر بن سعد في الطبقات الكبرى : ٥/١٠٢ .

وكنت وحدي صائماً ، فقدمت عشائي أفطر ، وكان خبزاً وزيتاً ، فإذا بأت يقرع الباب ، فقلت : من هذا الطارق ؟ قال : سعيد ، قال ففكرت في كل انسان اسمه سعيد إلاّ سعيد بن المسيّب ، فانه لم ير منذُ أربعين سنه ، إلاّ بين بيته والمسجد ، فقمت فخرجت ، فإذا سعيد بن المسيّب ، فظننت أو فكرت أنه قد عدل عن الزواج ، فقلت : يا أبا محمد ألا أرسلت إليّ فأتيك ، فقال : أنت أحق أن تُؤتى ، قال : قلت : فما تأمر ، قال : أنك كنت رجلاً عزباً ، فتزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك ؟ وهذه زوجتك فاذا هي قائمة من خلفه في طوله ، ثم اخذها بيدها ، فدفعها بالباب ، ورد الباب ، فسقطت المرأة من الحياء ، فأستوثقت من الباب ، ثم تقدمت الى القصعه التي فيها الزيت والخبز ، فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ، ثم صعت الى السطح ، فرميت الجيران فجاءوني ، فقالوا ما شأنك ؟ قلت : ويحكم زوجني سعيد بن المسيّب أبنته اليوم ، وقد جاء بها على غفلة ، فقالوا : سعيد بن المسيّب زوجك ؟ ! قلت : نعم ! وها هي في الدار ، قال : فنزلوا هم اليها ، وبلغ أمي الخبر ، فجاءت وقالت : وجهي من وجهك حرام أن مسستها قبل أن أُصلحها الى ثلاثه ايام ، قال : فأقمت ثلاثه أيام ، ثم دخلت بها ، فاذا هي من أجمل الناس ، واذا هي احفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأعرفهم بحق الزوج . (١)

قال : فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا أتيه ، فلما كان قرب الشهر ، أتيت سعيداً ، وهو في حلقته ، فسلمت عليه ، فرد على السلام ، ولم يكلمني حتي تقوض(٢) أهل المجلس ، فلمّا لم يبق غيري ، قال : ما حال ذلك الانسان ، قلت : خيراً يأأبا

---

(١) — أنظر : القصه في حلية الأولياء : ١٦٧/٢ وما بعدها ، طبقات ابن سعد : ١٣٨/٥ .

(٢) — " تقوض " أي انتقض وتفرق .

محمد ، على ما يحب الصديق ويكره العدو .

فقال : أن رآبك شيء فالعصا ، فانصرفت إلي منزلي ، فوجه إلي بعشرين ألف درهم . (١)

والذى يظهر لنا من خلال استعراض هذه القصه وما دار فيها من أحداث ، يتضح أن أمكانية حدوثها أو محاكاتها ليس أمراً مستحيلا حدوثه ، فكل من تربي على الاسلام وتعاليمه وتتلمذ على المدرسه المحمديه كسعيد بن المسيّب صاحب النفس الصافيه والايمان الراسخ والعقيدة الصلبه التى لا تتزعزع امام الرياح الهوج أو الاعاصير العاتيه . (٢)

وظل هذا رأيه حتى لقي ربه وهو حريص على التمسك بسنه الرسول — صلى الله عليه وسلم — وسيرة السلف الصالح من الصحابه المبرره .

==========

---

(١) — كما وردت هذه القصه : في وفيات الأعيان : ٢/ ٣٧٦ ، وما بعدها . شذرات الذهب : ١/ ١٠٣ ، وأيضا أوردها الأديب مصطفي صادق الرافعي في كتابه : ((وحي القلم)).

(٢) — أنظر : أعلام المسلمين " سعيد بن المسيّب، سيد التابعين " / ٧٣ ، بتصرف .

— ((الفصل الثالث)) —

****

دوره في الدعـــــــوه

==========

لعل من المفيد قبل أن نتحدث عن دور سعيد بن المسيّب في الدعوة الى الله أن نتعرف على شيء موجز عن منهجه في الإجتهاد ، ومما لا شك فيه أن إنسان كسعيد قد أكتسب علمه ومعارفه وفقهه عن طريق من سبقه من كبار فقهاء الصحابه لتأثره لعلمهم وورعهم وزهدهم ، وعمّ هذا التأثر كل جوانب حياته ، فأنعكس هذا على جانب الاجتهاد الفقهي ، وبما أن الصحابة قد بنوا منهجهم الاجتهادي على مصادر الاسلام الأساسية : الكتاب العزيز ، والسنه المطهره ، والاجماع ، والقياس ، وهذه هي التي أعتمد عليها أبن المسيّب في منهجه الاجتهادي ، فكان يؤثر عنه أنه اذا لم يجد حلاً للقضيه في الكتاب أو السنه أو الاجماع أو من اقوال الصحابة وآثارهم ليجتهد رأيه مستعملاً القياس والمصالح المرسله ، وهو بعمله هذا يعتبر متبعاً عن دليل وفكر ، لا عن تقليد أو ابتداع.

وهكذا كان ابن المسيّب وأشاله حقاً ، هم المعنيون بـ ((التابعين لهم بإحسان)) ولذلك فمنهج سعيد لا يخرج عن منهج فقهاء الصحابة ، والذي تميز به في منهجه الاجتهادي هو إيجاد الحلول للقضايا والمشاكل التي أستجدت في عصره ، ثم أن علماء التابعين وفقهائهم وعلى رأسهم سعيد بن المسيّب ، واجهوا من جفاء الحكّام والولاة وإضطهادهم والتنكيل بهم ، وعدم تقدير علمهم وفقههم أو علو مكانتهم وصواب رأيهم ، وخير مثال على ذلك قتل الامام العالم سعيد بن جبير على يد الحجاج بن يوسف طاغية العراق . (١)

---

(١) — أنظر الاسلام بين العلماء والحكام : ص ١٢٩ .

ثم ما تعرّض له سعيد بن المسيّب في المدينة من الضرب والتعذيب والأمتحان لكي يثنوه عن رأيه ، ومع هذا فقد بقي صامداً كالجبل الأشم ، لا تلين عزيمته وظل قوي الشكيمة صلب الاراده ، صاحب علم وفقه وبصيرة صافيه ، فكان لا يقدّم على كتاب الله تعالى وسنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : رأياً ولا قياساً ولا معقولا ولا قول أحد من العالمين . (١)

ومع هذا فلم يكن أحد من التابعين وعلى رأسهم أبن المسيّب خالف آثار الصحابة وأقوالهم ، ولهذا كان الامام في منهجه الاجتهادى يفتش للحكم في نصوص الكتاب والسنه والأجماع فإن لم يجد بحث في أقضية فقهاء الصحابة وتحرى عَنْ أقوالهم وآراءهم في المسألة ، فإذا لم يجد عند ذلك كان لا يقف مكتوف الأيدي بل أنه يجتهد رأيه ويستنبط حكم الله بما يهديه اليه اجتهاده ، فكان يستعمل القياس والمصالح (٢) المرسله ، وكما ذكرنا في غير هذا المقام كان يعمل ذلك في نطاق ضيق حالة عدم وجود النص أو الاجماع أو قول الصحابي .

والحق أن الامام سعيد بن المسيّب وأمثاله من فقهاء التابعين ، كان لهم السبق في وضع أسس الفقه الاسلامي وبذلك نشطت حركة الاجتهاد والتدوين وتكونت المدارس الفقهيه ونشأت المذاهب الأربعة المعروفه ، بسبب أخذ هؤلاء التابعين الفقه عن فقهاء الصحابه ، مثل : زيد بن ثابت ، وأبن عمر ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص في الحجاز والذين كانوا يتمسكون بالنصوص ، ومنهم نشأت مدرسة أهل الحديث في المدينة المنوره ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود في العراق واللذان كانا يستعملان القياس والمصالح والرأي ، ولذلك نشأت مدرسة أهل الرأي في العراق

---

(١) ـ أنظر أعلام الموقعين : ٢/٢٢٢ ، بتصرف .
(٢) ـ أعلام المسلمين " سعيد بن المسيّب ، سيد التابعين " : ص ١٢٨ ، بتصرف .

وقد أنتشر الفقه عن مدرسة أهل الرأي هذه بواسطة فقهاء التابعين كابراهيم النخعي في العراق ، بينما أنتشر فقه مدرسه أهل الحديث عن طريق فقهاء التابعين في المدينه وعلى رأسهم الامام سعيد بن المسيّب ، وكان رصيد هؤلاء نصوص الكتاب العزيز وأحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأجماع الصحابة وآرائهم ، وكذلك آراء التابعين وأستنباطاتهم الشخصيه . (١)

واذا كان الكلام عن نشوء الفقه قد جرنا الي ذكر مدارس فقهاء التابعين على سبيل الإيجاز ، فانّا يعنينا في هذا المقام هو الكلام عن الفقهاء السبعه (٢) في المدينه المنوره وامامهم سعيد بن المسيّب ، ولذلك فلا بد من التعرف على العوامل التي أدت الى تكوين شخصية الفقهاء السبعه العلمية ومنهم أبن المسيّب ، نجد أن أول هذه العوامل يرجع الى تتلمذ هؤلاء الفقهاء على كبار الصحابه كأبن عمر ، وهؤلاء الصحابه كانوا يمثلون النواة الأولىٰ لمدرسة المدينه أو مدرسة أهل الحديث .

أما العامل الثاني الذي أدىٰ الي تكوينهم فهو ظروف اجتماعيه حيث كانت المدينه المنوره ، مهبط الوحي ومنبع رسالة الاسلام ، وعاش على أرضها الصحابه والخلفاء الراشدون ، فكانت مجمع الفقهاء والعلماء والعباد من الصحابة ، وهي أيضاً مهد السنة المطهره .

---

(١) — نظرة عامه في تاريخ الفقه الاسلامي للدكتور/على حسن : ص ١٣٧ وما بعدها
تاريخ الفقه الاسلامي للسايس : ص ٧٦ وما بعدها .

(٢) — الفقهاء السبعه هم : سعيد بن المسيّب ، وعروة بن الزبير ، خارجه بن زيده وسليمان بن يسار ، وعبيد الله بن عتبه ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث والقاسم بن محمد .
وهذه أرجح الروايات في ذكر أسماء الفقهاء السبعه .
وقد سرد الشاعر أسماءهم في الأبيات التالية :

اذا قيل من في العلم سبعة أبحر — روايتهم ليست عن العلم خارجه .
فقل : هم عبيد الله عروة قاسم — سعيد أبو بكر سليمان خارجه .

أما العامل الثالث : الذى ساهم في بناء صرح مدرسة أهل المدينه ، فهو ما تميز به عصر فقهاء هذه المدرسه من الظواهر السياسية ، فقد أنتقلت عاصمة الدولة إلي بلاد الشام بعد أن كانت المدينه المنوره هي العاصمة في عهد الخلفاء الراشدين ، وهذا قد ساعد على أتساع الفجوة بين الفقهاء وحكام الدولة الأمويه ، لذلك كانت تصرفات الحكام تلاقي عدم الرضا من جانب الفقهاء ، ولهذا كَرِهَ الفقهاءُ الأمويين وأعتزلوا في المدينه ومع ذلك بقيت المدينه محتفظة بمكانتها وسلطتها الدينيه . (١)

وإذن فعوامل تكوين مدرسة الفقهاء السبعه هي :

أولاً : عوامل اجتماعية .

ثانياً : عوامل سياسيه .

ثالثاً : عامل الأخذ أو النقل لعلم الصحابة – رضي الله عنهم – من فقهاء المدينه وقراءها الذين كانوا يمثلون مدرسة أهل الحديث ، وعلى رأسهم عبد الله ابن عمر – رضي الله عنهما – ومن هنا كان تكوين فقهاء المدينه العلمي يتقدمهم أبن المسيّب ، فحملوا علم من سبقوهم من الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – .

وكما قلنا فقد بقيت المدينه تستقطب أنظار الناس ، فكان المستفتين يأتون إليها من كل مكان إذا أُعترض لأحدهم قضيه أو سؤال عن حديث أو حكم في مسألة طارئة أتي إلي هؤلاء الفقهاء الذين علا شأنهم وأشتهر علمهم ومعارفهم وأصبحوا أقطاب لمدرسة أهل الحديث في عصرهم .

وقد جمع أبو الزناد أراءهم وفتاويهم في كتاب أسماه " رأي الفقهاء السبعه وما أختلفوا فيه " . (٢)

---

(١) – أعلام المسلمين " سعيد بن المسيّب امام التابعين " ص ١٢٩ .

(٢) – أنظر في تاريخ الفقه الاسلامي : ص ١٤٠ – ١٤٢ .

وقد تبين لنا بجلاء الشهرة الفقهيه التي نالها الفقهاء السبعه بالمدينه المنوره حتي أصبحت مدرستهم في ذاك العصر المدرسه التي يرجع اليها في تعرف الفقه والسنه والتفسير والعقيده ، إلاّ أنّها كانت بمثابة المركز الفقهي الأول في الاسلام الذي تميز بفقه الصحب الكرام ، وهكذا فقد كانت الأساس الذى بنيت عليه معظم المذاهب الفقهيه .

ورأينا أبن المسيّب يجمع بين العمل بالحديث أو النص والعمل بالرأي ولكنه كان لا يعمل بالرأي إلاّ في ظروف ضيقه جداً في حالة عدم وجود النص من كتاب أو سنه أو رأي الصحابي عند ذلك كان يذهب الى العمل بالرأي مستخدماً في هذا البحث روح التشريع والتعرف على المصالح وعلل الاحكام ، ثم أفتىٰ عن علم وتثبت وفهم ، فسمي : بالجريء .

والحقيقة أن المدارس التي تكونت في عصر أبن المسيّب ، كانت في أُصولها تأخذ بالكتاب والسنه إلاّ أن مدرسة أهل الرأي في العراق كانت تغلب الأخذ بالرأي مع أنها تأخذ بالنص .

أما مدرسة أهل الحديث في الحجاز فكانوا يغلبون الأخذ بالحديث والنصوص بصفة عامه ، ولعل من العوامل التي جعلت أهل مدرسة الرأي في العراق يجنحون إلي الرأي هو الحرص الشديد في صحة الروايات والتحقق المبالغ فيه في مدىٰ ثقة الراوي وعدله .

وأبن المسيّب كان إمام مدرسة أهل الحديث وقد عرفنا فيما تقدّم منهجه الاجتهادي ومن الأفضل أن نسوق هنا بعض الحوادث التي استخدم فيها سعيد منهجه لنعرف اتجاهه الفقهي وكيف أنه كان يلزم النص أولاً ثم يتعداه إلي الرأي ثانيا في حالة عدم وجود النص من كتاب أو سنه .

فمثلا : أخرج الامام مالك عن ربيعة بن عبد الرحمن (١) أنه قال (٢) : سألت سعيد بن المسيّب كم في أصبع المرأة ؟ فقال : عشر من الأبل ، فقلت : كم في اصبعين ؟ قال : عشرون من الأبل ، فقلت : كم في ثلاث ؟ فقال : ثلاثون من الأبل ، فقلت : كم في أربع ؟ قال : عشرون من الأبل فقلت : حين عظم جرحها ، وأشتدت مصيبتها نقص عقلها ؟! (٣)

فقال : سعيد ، أعراقي أنت ؟ فقال : بل عالم متثبت أو جاهل متعلم ، فقال سعيد : هي السنة يا أبن أخي .

فسعيد بن المسيّب قد أعتمد ظاهر النص عندما أفتى وذلك في الحديث الذى أخرجه النسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي (ص) قال ((عقل المرأة مثل عقل الرجل ، حتى تبلغ الثلث من ديتها)) .

وحيث أن دية أربع أصابع للمرأه تزيد عن الثلث في الديه ، فقد أستحق في هذا التنصيف تشيأً مع ظاهر النص ، وبذلك فدية المرأة على النصف من دية الرجل ، وهذا راجع الى حكمة التشريع لا إلى العقل والمنطق .

لذلك كان الامام أبن المسيّب لمّا سأله ربيعة قال له : أعراقي أنت ؟! وهذا سؤال انكاري وتعجبي ، لمّا كان الإمام وغيره من فقهاء الحجاز يعيبون على العراقيين لأستخدامهم العقل في التحكيم . (٤)

ونخلص من هذا الى القول : بأن الامام سعيد بن المسيّب إمام الفقهاء والمجتهدين في الحجاز ، كان يقف عند النصوص والآثار وآراء الصحابة وأقضيتهم ، ولا يستعمل الرأي إلاّ عند الضرورة ، وهي عدم وجود النص أو الأثر ، فيستخدم الرأي المتمشي مع روح الشريعه .

---

(١) — ربيعة بن عبد الرحمن : هو شيخ الامام مالك ، كان من الحجازيين الذين يميلون الى الرأى ، فلقب : ربيعه الرأي .

(٢) — تنوير الحوالك : شرح موطأ الامام مالك : ٣ / ٦٥ ، المغني لأبن قدامه : ٧ / ٧٨٥ ، ٧ / ٧٨٩ .

(٣) — كم في اصبع المرأة : أي كم في ديتها الواجبه إذا أعتدي عليها بالقطع .

(٤) — عقلها : أي ديتها .

(٥) — تاريخ الفقه للسايس : ص ٧٩ ، تاريخ التشريع للخضري : ص ١٤٢ .

دعـــوتـه

أولا : مجالسـه العلميـه :

من المعروف بأن البيئـة التي نشـأ فيهـا سـعيد بن المسـيّب كان يغلب عليهـا الطابع العلمـي ، فقـد كانت معينـا لا ينضـب تفمرهـا مختلـف العلـوم والمعـارف الاسـلاميه ، وسـنحت الفرصـه لأبن المسـيّب فأغترف من هذا المعـين حتى أرتـوى ، يدفعـه لذلك رغبتـه الصادقـه ، وتحفـزه النفسـي ، وما حباه اللـه بـه من الذكاء الفطـري ، والحافظـة القويـه ، ولهـذا فقـد نهـل من هذه العلـوم والمعارف عـن طريـق الصحـب الكـرام الذين كانـوا قـد نهلـوا علمهـم عن طريق المدرسـة المحمديه ، فقـد خرجت هذه المدرسـه نماذج فريـده من العبـاد والقـراء والحفـاظ على أرض المدينة المنـوره ، ممـن سـعدوا بصحبـة الرسـول ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ وفي هذا الجو نشـأ وترعرع سـعيد بن المسـيّب ، فكان أوسـع علمـاء عصـره فقهـا وروايـة وتفسـيراً ، فأصبـح جامعـاً ثقـة ومفتيـا جرئيـاً وعابداً ورعـا .

كما سـبق ذكر ما وهـب اللـه لسـعيد بن المسـيّب من حـدة الذكاء والحافظـه القويه مما أعـانه على اسـتيعاب كل العلـوم والمعارف لمـن سـبقوه من الصحابة ـ رضي اللـه عنهـم ـ فكان الفقيـه العالم الذي أجمعـوا على جلالتـه وإمامتـه لفقهـاء زمـانه ، فسـمي فقيـه الفقهـاء . (٢)

وما أن وصـل الامـام سـعيد الى هذه المكانـة من العلم والمعـرفه حتى أتخـذ لـه مجلسـا في المسـجد النبـوي الشـريف ومن هذا المجلـس بدأ يدرس العلـم لتلاميـذه وينشـره بين الناس بأنواعـه المختلفـه ، في التفسـير والعقائـد والحديـث والفقـه ،

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ٥/١٢٢ ، بتصـرف .
(٢) ـ المرجع السـابق : ٥/١٤٣ ، بتصـرف .

ويجتهد في القضايا المستجده التي تعرض عليه ، ويفتي فيها ، ولا غرو فقد كان الولاة والأمراء مثل : عمر بن عبد العزيز والي المدينه المنوره آنذاك ، يسألونه عن أقضية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكبار الصحابة كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ .

وقد برع في هذا وألمّ بأقضية من سبقوه وآثارهم ، حتى كان يقول عن نفسه : ((ما بقي أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، ولا بو بكر ، وعمر ، مني)). (١)

وكما ذكرنا في الكلام عن طلبه للعلم رأينا أنه كان كبار الصحابه من الفقهاء كأبن عمر ـ رضي الله عنهما ـ إذا سئل عن مسألة تشكل عليه قال : سلوا أبن المسيّب فإنه قد جالس الصالحين ، وقال أيضا : ألم أقل لكم أنه أحد العلماء ، ولو رأى هذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لسرّه ، ويقول عنه : هو والله . أحد المفتين . (٢)

ومما يجب الأشارة إليه أنّ القرن الأول الذي عاش فيه إلامام سعيد كان قد تميز بظهور طبقتين من القراء :

فالأولى : طبقة القراء من الصحابة وقد أشتهر منهم على سبيل الذكر لا الحصر ، عثمان ، وعلي ، وزيد بن ثابت ، وأبيّ بن كعب ، وأبن مسعود ، وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري .

أما الثانيه (٣) : طبقة قراء التابعين ، وقد أشتهر منهم ناس كثير لكن أشهرهم الامام سعيد بن المسيّب بل أنه كان يتبوّى مكانة مرموقه فيهم ، فهو سيدهم وإمامهم

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ١٣٣/٥ ، وفيات الاعيان : ٣٧٥/٢ .
(٢) ـ طبقات ابن سعد : ٣٧٩/٢ ، ١٤١/٥ ، طبقات الفقهاء : ص ٢٤ .
(٣) ـ مناهل العرفان : ٤٠٧/١ ، و ٤٠٨ ، بتصرف .

وأعلمهم وفقيههم ، وبما أن كبار التابعين كأمثال سعيد قد أخذوا علمهم ومعارفهم عن الصحابة ، فقد أخذ بالتالي ، جمع من صغار التابعين علمهم عن ابن المسيّب الذي كان قد أصبح بعلمه وفقهه علماً على رأس علماء عصره يأتيه النّاسُ من كل الأمصار الاسلاميه ، لينهلوا من علمه ومعارفه ويسمعوا حكمه البليغه ومواعظه المؤثره ، ويحدد لهم بنظرته الثاقبه مهمتهم في هذه الحياة التى هي في الواقع نظرة الاسلام الشامله لكل جوانب الحياة الدنيا والآخره .

لذلك كانت مجالس سعيد بن المسيّب وحلقه العلميه تعج بطلاب العلم ومحبي المعرفه ، وهكذا أنتقل علم ابن المسيّب بشموله لكل العلوم الاسلاميه من التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأجتهاد ، والأدب وغيرها إلى الجيل الذى بعده ، وبهذا حفظ الله دينه ، فكل جيل ينقل للجيل الذى بعده تعاليم الاسلام ومبادئه مثل في كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — وصدق الله العظيم القائل : " أنّا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون " . (١)

ثانيا : العلوم التى كان لابن المسيّب أثر عظيم فيها هي :

أ) — علم التفسير : وقد شمل بذلك القراءات وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، وتفسير القرآن الكريم .

ب) — علم القراءات : كان للأمام سعيد الجهد البيّن في علم القراءات ، ومن القراءات الوارده عنه نستعرض بعض النماذج للذكر لا الحصر ، كقول الله تعالى :

" ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم " . (٢)

---

(١) — سورة الحجر ، آية : ٩ .
(٢) — سورة المائده ، آية : ٦ .

فالقراءة المشهوره ((ليطَهّركم)) بفتح الطاء ، وتشديد الهاء ، وقرأ الامام سعيد ((ليْطهركم)) بسكون الطاء ، وتخفيف الهاء ، وهما بمعنى واحد . (١)

وأيضا قول الله تعالى : ((قل أني على بينه من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به أن الحكم الاّ لله يقص الحق وهو خير الفاصلين)) . (٢)

قرأ أبن عباس ، ومجاهد ، والأعرج ، وهي قراءة ــ نافع ، وأبن كثير وعاصم : ــ ((يقصُ)) بالصاد المهمله أى : يقص القصص الحق .

وقد قرأ سعيد بن المسيّب (٣) : ((يقض)) بالضاد المعجمه ، من القضاء وهي قراءة : علي ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وغير ما ذكر من القراء السبعه ، ويدل على هذه القراءه : قوله تعالى : ــ بعده ــ :

" وهو خير الفاصلين " والفصل لا يكون إلاّ في القضاء ، دون القصص ، ويقويه قوله تعالى ــ قبله ــ:

" أنّ الحكم إلاّ لله " ويقويه أيضاً قراءة أبن مسعود :ــ

" أن الحكم إلاّ لله يقضي بالحق "(٤) وهكذا كان لابن المسيّب الأثر في علم القراءات ، وقد أُلفت كتب كثيرة في هذا العلم في عصره وبعده .

جـ) ــ سبب النزول :

هو الحادثه التى تقع في حياة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : من سؤال أو غيره فينزل بسببها القرآن (٥) ولمعرفة سبب نزول الآيات فوائد عظيمة منها :

---

(١) ــ أنظر تفسير القرطبي : ٦/١٠٨ .
(٢) ــ سورة الأنعام ، آية : ٥٧ .
(٣) ــ وقد ذكر في غاية النهاية ج ١ ص ٣٠٨ ، عن أبن المسيّب القول : بأنها وردت عنه الرواية في حروف القرآن ، قرأ علي : ابن عباس وأبي هريره وروى عن عمر ، وعثمان ، وسعيد بن زيد ، وقرأ عليه هو عرضا ، محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى .
(٤) ــ أنظر تفسير القرطبي : ٤/٤٣٩ .
(٥) ــ مناهل العرفان : ١/٩٩ .

أنه يساعد على فهم الآية الكريمه ، قال الواحدى : يمتنع معرفة تفسير الآيه وقصد سبيلها ، دون الوقوف على قصتها ، وبيان نزولها [١] ، وقال أبن تيميه : معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يؤرث العلم بالمسبب . [٢]

ومعرفة سبب النزول أنّما يكون بالنقل والرواية عن صحب الرسول — صلى الله عليه وسلم — وعاصر الحوادث التي نزلت الآيات بسببها ، اذ لا سبيل لمعرفة السبب إلآ بذلك ، وقد أهتم الصحابة — رضوان الله عليهم — بمعرفة سبب النزول وعنهم أخذ هذا العلم التابعون ، لهذا كان الأمام سعيد أحد أعلام هذا الفن ، ومما رُوِيَ عنه في أسباب النزول قوله تعالى : ((للذين يؤلون من نسائهم تربصُ أربعة أشهرٍ فإن فاءوا فإن اللّه غفور رحيم)). [٣]

قال سعيد بن المسيّب : كان الايلاء من أضرار أهل الجاهليه ، فكان الرجل لا يريد المرأة ، ولا يحب أن يتزوجها غيره ، فيحلف أن لا يقربها أبداً ، فيتركها كذلك : لا أيّماً ولا ذات بعل ، فجعل الله تعالى الأجل أربعة أشهر ، وأنزل الله تعالى : " للذين يؤلون من نسائهم .... الآيه ". [٤]

ومن المروي عن الامام في أسباب النزول ، قول الله تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ". [٥]

قال سعيد بن المسيّب : ((نزلت في الزبير بن العوام ، وحاطب بن أبي بلتعه : اختصما في ماء ، فقضىٰ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يسقي الأعلى ثم الأسفل)). [٦]

---

(١) — أسباب النزول : ص ٥ .
(٢) — الأتقان : ١ / ٣٥ .
(٣) — سورة البقره : آية : ٢٢٦ .
(٤) — أسباب النزول : ص ٧٢ .
(٥) — سورة النساء : الايه : ٦٥ .
(٦) — تفسير ابن كثير : ١ / ٥٢١ ، والدر المنثور : ٢ / ١٨٠ .

والأعلي كان الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ فلما قضي الرسول ـ عليه الصلاه والسلام ـ بذلك قال حاطب بن أبي بلتعه ـ رضي الله عنه ـ يارسول الله ، ان كان أبن عمتك ؟ فكان سبب نزول الآيه ، وكذلك مما روى عن الامام ابن المسيّب في هذا الفن قوله تعالى : ((وما لاحد عنده من نعمة تجزى ، إلاّ أبتغاء وجه ربه الأعلى)) . (١)

فروى القرطبي في تفسيره عن سعيد بن المسيّب قوله : بلغني أن أبا بكر قال لأمية بن خلف : أتبيعني بلال ؟ فقال : نعم ، أبيعه بنسطاس ، وكان نسطاس عبداً لأبي بكر ؛ صاحب عشرة الآف دينار ، وغلمان وجوار ومواشي ، وكان مشركا ، فحمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون له ما له ، فأبى ، فباعه أبو بكر ببلال فقال المشركون :

ما فعل أبو بكر ببلال هذا إلاّ ليد كانت لبلال عنده . (٢)

فنزلت الآية : " وما كان لأحد عنده من نعمة تجزى " . (٣)

فهذه النماذج في أسباب النزول قليلٌ من المرويات الكثيرة عن سعيد بن المسيّب وان ذلك ليدل دلالة قاطعه على سعة علمه في هذا الفن ، وعمق تفكيره والمامه بكل جوانب تفسير القرآن الكريم .

وهكذا فقد شمل الإمام سعيد كل الجوانب التى تمكن المسلم من فهم كتاب الله وتدبره .

---

(١) ـ سورة الليل ، الآيتان : ١٩ ، ٢٠ .
(٢) ـ أبي لمعروف صنعه بلال لأبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ .
(٣) ـ أنظر تفسير القرطبي : ٢/٨٩ .

أما في الناسخ والمنسوخ :

فقبل أستعراض آثار الامام في ذلك لا بد لنا من معرفة التعريف اللغوي والأصطلاحي لهذا العلم .

فالنساخ لغةً : هو الابطال والازاله .

واصطلاحاً : هو رفع حكم شرعي بمثله ، وهو جائز عقلاً وواقعاً سمعاً عند سعيد بن المسيّب ، ولا خلاف في هذا بين المسلمين إلاّ ما يروى عن أبي مسلم الاصفهاني : من إنكار وقوعه ، وقد رد عليه الشوكاني فقال : لا عبرة بخلافه . (١)

وأيضا فان كل ما ثبت بالكتاب والسنه تعارض هذا القول للأصفهاني ، لكون النسخ قد ثبت في القرآن الكريم والسنة المطهره .

قال الله تعالى : " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها " . (٢) ، وقول الله تعالى : " واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنّما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون " . (٣)

وفي السنة رُوى العلاء بن الشخير قال : " كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ينسخ حديثه بعضُه بعضاً ، كما ينسخ القرآن بعضُه بعضاً " . (٤)

ولا طريق لمعرفة النسخ في القرآن الكريم : إلاّ بالنقل عن رسول الله — عليه الصلاة والسلام — أو عن الصحابة الذين حضيوا بصحبته وعاصروا نزول القرآن الكريم . (٥)

ومما يروىٰ عن الامام في علم النسخ أمثال قوله تعالى : " كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين " . (٦)

---

(١) — أرشاد الفحول : ص ١٧٠ : ١٧١ .
(٢) — سورة البقره : الآيه : ١٠٦ .
(٣) — سورة النحل : الآيه : ١٠١ .
(٤) — رواه مسلم على ما ذكر الثعالبي ، الفكر السامي : ١/٢٤ .
(٥) — أنظر : فقه الامام سعيد بن المسيّب : ١/١١٨ .
(٦) — سورة البقره : الايه : ١٨٠ .

قال أبن كثير ، قال : ابن أبي حاتم : روى سعيد بن المسيّب عن ابن عمر ، أن هذه الآية منسوخه نسختها آية الميراث . (١)

وأيضا قوله تعالى : " الزاني لا ينكح إلاّ زانيه أو مشركه ، والزانية لا ينكحها الاّ زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين" . (٢)

روى الطبري بسنده عن يحى بن سعيد قال : " ذُكرعند سعيد بن المسيّب : " الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشركه " قال : فسمعته يقول : نسختها التى بعدها ثم قرأ سعيد : قال : يقول الله تعالى : " الزاني لا ينكح الاّ زانية أو مشركه ، ثم يقول تعالى : " وأنكحوا الأيامى منكم "(٣) فهي من أيامى المسلمين . (٤)

** — تفسير القرآن الكريم :

وهو الايضاح والتبيين وبيان مراد الله سبحانه وتعالى ، فقد أنقسم علماء السلف الى قسمين :

قسم أكثروا من تفسير القرآن والتوسع فيه : كابن مسعود ، وابن عباس وأصحابهما عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وسروق وغيرهم .

وقسم أقلوا من التفسير فلم يكثروا منه خوفاً أن لا يصيبوا باجتهادهم حقيقة مراد الله تعالى : كأبي بكر ، وعمر(٥) ، وقد تبعهم الكثير من التابعين ، ومنهم: ابن المسيّب ، وقد كان ينتقد عكرمة : لكثرة كلامه في القرآن ، وقد روى عن الامام سعيد أنه كان يقول : اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : انّا لا نقول في القرآن شيئاً ، وكان لا يتكلم إلاّ في المعلوم من القرآن ، وقد سأل رجل سعيد بن المسيّب عن آية من القرآن : فقال : لا تسألني عن القرآن وسل من يزعم أنه لا يخفي

---

(١) — تفسير ابن كثير : ١/ ٢١١ .
(٢) — سورة النور ، آية : ٣ .
(٣) — سورة النور ، آية : ٣٢ .
(٤) — انظر : تفسير الطبرى : ١٨/ ٥٩ .
(٥) — انظر : مناهل العرفان : ١/ ٤٨٢ ،تفسير ابن كثير : ١/ ٣ وما بعدها ، والاتقان : ٢/ ٢٢٥ .

عليه منه شيء ، يعني عكرمه .

وقال يزيد بن أبي يزيد : كنّا نسأل سعيد بن المسيّب عن الحرام والحلال وكان أعلم الناس فاذا سألناه عن تفسير آية من القرآن الكريم سكت كأن لم يسمع.[1]

وهذا لا يعني أن الامام لم يكن له دور في تفسير القرآن فقد ثبت أنه كان يفسر القرآن ولكن في حدود ضيقه لذلك كان تفسير الامام إما مستمد من القرآن لأن القرآن نزل يفسر بعضُه بعضاً ، أو من السنه لأنها تفسر القرآن ، أو نقل عن الصحابة الذين عاصروا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد يفسره بالتفسير المؤجز اللفظي ويكون في حكم السهل بالنسبة لمن كان في مثل : علم الامام متمكناً في اللغه وعلوم الشرع [2] ، ومن التفسير المروي عن الامام ما يلي :ـ

قال تعالى : " يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم ". [3]

قال البغوي والخازن : قال سعيد بن المسيّب :

((القلب السليم : وهو الصحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب الكافر والمنافق مريض ، قال تعالى [4] : " في قلوبهم مرض ". [5]

وهذا نموذج من تفسير القرآن بالقرآن ، وقول الله تعالى : محدثا عن يحيى :

((وسيدا وحصورا ونبيّاً من الصالحين)). [6]

روى الطبري بسنده [7] عن سعيد بن المسيّب قال : السيد الفقيه العالم .

وقال : الحصور : الذي لا يفشي النساء ، ولم يكن معه إلاّ مثل هدبة الثوب [8]

---

(١) ـ أنظر تفسير أبن كثير : ١/٦ .
(٢) ـ أنظر : فقه سعيد بن المسيّب : ١/١٢١ ، بتصرف .
(٣) ـ سوره الشعراء ، الآيتان : ٨٨ ، ٨٩ .
(٤) ـ سوره البقره ، الآيه : ١٠ .
(٥) ـ تفسير البغوي : ٥/١٠٠ .
(٦) ـ سوره آل عمران : آيه : ٣٩ .
(٧) ـ تفسير الطبري : ٣/١٧٣ ، وأنظر : ابن كثير : ١/٣٦١ ، البغوي : ١/٢٨٩ .
(٨) ـ الطبري : ٣/١٧٤ ، القرطبي : ٤/٧٨ .

وهذا أيضا نموذج من تفسير القرآن بالسنه :

قال سعيد بن المسيّب : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : ((ما من عبد يلقي الله إلاّ ذا ذنب ، الاّ يحيى ابن زكريا فان الله يقول : " سيد وحصورا " ، قال : انما ذكره مثل هدبة الثوب ، وأشار بأنملته)). (١)

وفسر ابن المسيّب القرآن متبعاً طريقة سلفه من الصحابه ، مستدا بعضه من القرآن بالقرآن ، وبعضه بالسنه .

ومن أمثال ذلك كقول الله تعالى : " والسماء ذات البروج ، واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود " . (٢)

وقد روى الطبرى بسنده ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : ((أفضل الايام يوم الجمعه ، وهو : الشاهد)). (٣) وهذا من نماذج تفسير القرآن بالسنه ، ذلك أن الامام روى حديثاً عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يشابه اللفظ المذكور أنفاً ، وقد ذكر ذلك في الطبري وابن كثير . (٤)

وأيضا روى الطبرى عن سعيد بن المسيّب قال : ((ومشهود : هو القيامه)). (٥)

وهذا وقد ورد تفسير القرآن بالقرآن ، فقد روى مثل ذلك الحسن ، وأحتج له بقوله تعالى : ((ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود)). (٦)

وكما رأينا فان ابن المسيّب لم يعتمد في تفسيره القرآن بالقرآن ، أو القرآن بالسنه ، فحسب وإنّما أعتمد لتفسير القرآن من فهمه الواسع للبلاغه واللغه العربيه وقواعدها ومن ذلك قول الله تعالى : ((فانه كان للأوابين غفورا)). (٧)

---

(١) — أنظر : ابن كثير : ١/ ٣٦١ .
(٢) — سورة البروج ، الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ .
(٣) — أنظر : تفسير الطبرى : ٣٠/ ٨٣ .
(٤) — أنظر : تفسير الطبرى : ١٥/ ٥١ ، تفسير أبن كثير : ٣/ ٣٦ .
(٥) — أنظر : المصدر السابق ونفس الصفحه ((تفسير الطبرى)) : ٣٠/ ٨٣ .
(٦) — سورة هود ، الآيه : ١٠٣
(٧) — سورة الاسراء ، آية : ٢٥ .

لهذا نرى الطبرى قد روى بسنده عن سعيد قال : ((الأواب)) : أي الذى يذنب ثم يتوب. (١)

وهذا اللون من التفسير أستمده الامام من اللغه وقواعدها ، فأن الأواب : مبالغه ، من آب ، بمعنى : رجع أو تاب .

لهذا فالأواب : بمعنى التائب من الذنوب الراجع المرتدع عن المعاصى والعامل بطاعة الله رجاء ثوابه ومخافة عقابه .

هذا ما رجحه الطبرى في تفسيره لهذه الآيه (٢) منها ايضاً قول الله تعالى : ((ويمنعون الماعون)). (٣)

فقد ذكر الطبري عن سعيد بن المسيّب قوله : ((بأن الماعون : بلغة قريش : المال)) .(٤) ولذلك نرى أن الإمام ابن المسيّب قد أستمد تفسيره لهذه الآيتين من التفسير اللغوي البحت .

==========

---

(١) ــ تفسير الطبري : ٣٠/٢٠٦ ، القرطبي : ٢٠/٢١٤ .
(٢) ــ تفسير الطبري : ١٥/٥٢ .
(٣) ــ سورة الماعون : آية : /٧ .
(٤) ــ الطبري : ٣٠/٢٠٦ ، القرطبي : ٢٠/٢١٤ .

ب) ـ السـنـه :ـ

لم يقتصر علم ابن المسيّب على علوم القرآن فحسب وانما تعدى ذلك الى التعمق في السنه النبويه المطهره وكان ذلك بالسماع من الصحابة الكرام الذين سمعوا عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ونقلوا عنه الأحاديث ثم رووها لمن بعدهم من جيل التابعين ، وكان سعيد أحرص التابعين على معرفة سنه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن ذلك أنه قد روى عنه قوله :

((وان كنت لأسير الليالي والأيام للبحث عن الحديث الواحد)) ، وقبل التعرف على جهد الامام في هذا المجال لا بد من التعرف على التعريف اللغوي والاصطلاحي للسنه ، فالسنة في اللغه : الطريقة المعتاده . (١)

اما في أصطلاح المحدثين : فهي كل ما أُثر عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأقوال ، والأفعال ، أو التقريرات ، أو صفه خلقيه ، أو خلقيه ، أو سيره . سواء كان ذلك قبل البعثه : كتحنثه عليه السلام في غار حراء ، أم بعدها . (٢)

وتعريف السنه في أصطلاح الأوصوليين : ما صدر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير القرآن ـ : من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي .

ولهذا فكل كلام تلفظ به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ غير القرآن ـ أو فعله أو أقرّه ، مما ليس من الأمور الطبيعيه ، ابتداء من رسالته حتى نهاية حياته فهو من السنه . (٣)

---

(١) ـ تسير التحرير : ٣/١٩ .
(٢) ـ أنظر الحديث والمحدثون / ١٠ ، السنه قبل التدوين / ١٦ .
(٣) ـ أنظر : تيسير التحرير : ٣/١٩ ـ ٢٠ .

ومكانة الامام سعيد بين المحدثين ، واسناده بين الأسانيد تحتل مرتبه مرموقه عند العلماء والأئمه .

ولا بد قبل التعرف على هذه المكانة لأبن المسيّب من القول : بأنه قد برز من الصحابة والتابعين في رواية الحديث وسنده ناس كثير ، فمن الصحابة ـ المكثرين للروايه : ـ

أبو هريره ، وعائشه ، وأبن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم .

أما من التابعين فقد برز منهم الكثير ، ولعل الامام سعيد بن المسيّب كان من أشهرهم فهو قد أحتل المكانة العاليه بين المحدثين ورواة الحديث ، وقد شهد له بذلك أكابر المحدثين وهو لم يخالف أحد في : توثيقه وإمامته .

ويروى عن الامام احمد قوله عن سعيد بن المسيّب : ((ومن مثل سعيد ؟ ثقه من أهل الخير)). (١)

وقال علي المديني : ((اذا قال سعيد مضت السنه فحسبك به ، وهو عندى ـ أجل التابعين)). (٢)

وقد تحدث سعيد بن المسيّب بنعمة الله عليه ، وما وهبه من العلم والمعرفه فروى البخاري بسنده عن سعيد بن المسيّب قوله : ((ما بقي أحد أعلم بقضاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبي بكر وعمر مني)). (٣)

وقد قال عنه أبو حاتم : ((ليس في التابعين أنبل من سعيد بن المسيّب ، وهو أثبتهم في حديث أبي هريره)). (٤)

وقد سئل أبو زرعه عن سعيد ، فقال : ((مدني ، قريشي ، ثقة ، امام)). (٥)

ولهذا كان اسناد أبن المسيّب من أجل الأسانيد وأصحها .

---

(١) ـ أنظر : تهذيب الأسماء : ج ١ / ٢٢٠ ، تهذيب التهذيب : ٤ / ٨٥ .
(٢) ـ تهذيب الأسماء : الصفحه السابقه .
(٣) ـ تاريخ البخارى : ٢ / ٤٦٨ .
(٤) ـ أنظر : تهذيب الاسماء :
(٥) ـ الجرح والتعديل : ٢ / ٦١ .

فقد قال الذهبي : ((أن أصح الأسانيد ، هو ما رواه الزهري ، عن أبي المسيّب ، عن أبي هريره)) . (١)

وقد ذهب معظم العلماء إلى القول : بأن شعبة ، عن قتاده ، عن أبي المسيّب ، عن شيوخه من الصحابة ، يعتبر من أصح الأسانيد)) . (٢)

ولذلك قال البزار : أصح أسانيد سعد بن أبي وقاص ، هو علي بن الحسين عن سعيد بن المسيّب ، عن سعد بن أبي وقاص . (٣)

وهذه النماذج وشهاده علماء المحدثين ، تعطي دلالة على أن الامام سعيد كان في منزلة القمة بين محدثي عصره .

وكما كانت أسانيد الامام وروايته ثقة صحاح ، فقد أدلى برأيه في حجية خبر الآحاد وغيره من علماء التابعين .

والآحاد : هو الحديث الذى تقل درجته عن درجة الحديث المتواتر .

وقد أختلف العلماء في : حديث الآحاد ـ غير الضعيف ـ اذا رواه واحد عن أحد من أوله الى آخره ، هل يجب العمل به أم لا ؟ . (٤)

فمذهب سعيد بن المسيّب : في حديث الآحاد ـ غير الضعيف ـ وجوب العمل به فى الفروع ، وبهذا قال جمهور العلماء ، بينما أدعي الخطيب البغدادي الاجماع على ذلك .

وحجج الجمهور على رأيهم كالآتي :

أجماع الصحابة على وجوب العمل بخبر الواحد العدل . (٥)

---

(١) ـ سيرة أعلام النبلاء : ٢/٤٣٨ .
(٢) ـ الباعث الحثيث : صفحة ٣٤ .
(٣) ـ تدريب الراوى : صفحة : ٣٧ .
(٤) ـ انظر : فقه ((سعيد بن المسيّب)) : ١/١٢٦ .
(٥) ـ مقدمة صحيح البخارى : صفحة : ٣٢ .

وقد أعترض على هذا الإجماع من بعض العلماء ، بأن أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – كانا لا يقبلان خبر الواحد إلاّ إذا شهد معه آخر ، وبأن الامام علي كان يستحلف الراوى . (١)

وقد أجاب الجمهور على هذا الاعتراض ، بأنهم كانوا يتوقفون عند الأشتباه والريبة في مدى صدق الراوى وحفظه وعدله ، لا لأن خبر الواحد عندهم ليس بحجة ، والدليل على ذلك أن علياً كان يقبل الحديث بعد أن يحلف الراوى وهذا لا يخرجه عن كونه خبر آحاد . (٢)

مع أنه – كرم الله وجه – لم يكن يستحلف من تأكد من صدقه وضبطه : كأبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وأشباله . (٣)

وأيضا يروى بأن ابا بكر قد قبل الحديث من عائشة – رضي الله عنها – وحدها عندما أخبرته : عن مقدار كفن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكذلك عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قد قبل خبر عبد الرحمن بن عوف في أمر أخذ الجزية من المجوس . (٤)

ومن حجج الجمهور أيضاً قولهم : أنه قد تواترت الأخبار بأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يرسل الرسل لتبليغ الإحكام ، وبيان الحلال والحرام ، وربما كان يصحبهم الكتب ، وكان نقلهم أوامره – عليه الصلاة والسلام يتم بالفردية أي الآحاد ، فلو لم يكن خبر الآحاد حجة ، لما كان أرسل لهم مفيداً للتبليغ ، ولكان فيه إيهام للأمة يوجب قبول خبر الآحاد مع أنه غير واجب . (٥)

---

(١) – تذكره الحافاظ : ١/ ٢ ، ٨ ، ١٠ .
(٢) – مقدمة صحيح البخاري : ص ٣٢ .
(٣) – تذكرة الحفاظ : ١/ ١٠ .
(٤) – انظر الحديث في مسند الامام احمد : ٦/ ١١٨ .
(٥) – فقه الامام " سعيد بن المسيّب " : ١/ ١٢٨ .

ثم أن صدور مثل هذا عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير جائز.[1]

وأيضا قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : ((نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها الى من يسمعها .... الحديث)) .

ولذلك قال الامام الشافعي : ندب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى استماع مقالته وحفظها ، وأدائها أمرءا يؤديها ، والأمرؤ : واحد : فدل على : أنه لا يأمر أن يؤدي عنه ، الا من تقوم به الحجه ، على من أدى اليه لأنه انما يؤدي عنه : حلال يؤتي ، وحرام يجتنب ، وحد يقام ، ومال يُعطى ، ونصيحة في الدين والدنيا .

وكذلك من الحجج التى بيّن بها الجمهور صواب مذهبه قولهم بأن أهل قباء حين تحولت القبلة تحولوا من بيت المقدس الى الكعبه بخبر شخص واحد ، كما ثبت في الصحيح .[2]

ومن المعلوم بأن أهل قباء كانوا جمعا غفيرا من الصحابة ، وذوي سابقة في الاسلام ، وعلم وفقه ، ولا بد أنهم أخبروا رسول الله ـ عليه السلام ـ بما فعلوا فلو لم يكن خبر الواحد حجة عليهم لبين لهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك .

وفي ما تم ذكره ما يدل على أن ما ذهب اليه الجمهور من وجوب العمل بحديث الآحاد في الفروع ، متى كانت درجة الحديث غير ضعيف ، وللحجج التي عضدّ بها الجمهور رأيه يكون هو الراجح وبطبيعة الحال كان رأي الجمهور متوافق مع رأى الامام سعيد بن المسيّب ـ رضي الله عنه ـ وقد خالف رأي الجمهور جماعة من العلماء منهم :

---

(١) ـ مقدمة صحيح البخارى : ص ٣٣ .
(٢) ـ أنظر مسلم : هامش النووى : ٥/٩ ـ ١٠ .

البغدادي من المعتزله الذين ذهبوا الى القول بأنه يشترط لقبول الخبر أن يكون متواتراً ، وقد ذهب ابراهيم بن اسماعيل بن عليه : الى عدم قبول الخبر الآ اذا رواه أثنان عن مثلهما ، من أول السند الى آخره .

وروى هذا عن الجاحظ من المعتزله ، وروى عنه ايضاً : أن الخبر لا يصح عندهم إلآ اذا رواه أربعه عن أربعه ، وقد روى هذا عن أبي علي الجبائي ، وعنه أيضا أن الخبر لا يقبل ـ اذا رواه الواحد العدل ـ الآ اذا عاضده خبر عدل آخر، أو موافقة ظاهر الكتاب ، أو ظاهر خبر آخر ، أو يكون قد اشتهر بين الصحابه أو عمل به بعضهم ، وقال السيوطي : نقل الأستاذ أبو منصور البغدادي : أن بعضهم أشترط في قبول الخبر : أن يرويه ثلاثه عن ثلاثه الى منتهاه . (١)

وأشترط بعضهم : أربعه عن أربعه ، وأشترط آخرون : خمسة عن خمسه ، ومنهم من اشترط سبعه عن سبعه (٢) ، وآراء هؤلاء العلماء من المعتزله حججهم واهيه ولا يعضدها دليل عقلي أو نقلي وبالتالي فلا عبرة بما ذهبوا اليه من آراء ولذلك فرأي الجمهور هو الراجح لما دللوا به من الحجج والبراهين وسردوا من سيره الرسول ـ عليه السلام وصحبه .

وهكذا كان الامام أبن المسيّب ، وغيره من العلماء .

** ـ أمّا رأيهم في الاحتجاج بالمرسل :

والحديث المرسل : هو ما رفعه التابعي إلي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سواء كان من كبارهم أو من صغارهم . (٣)

بينما عرّفه البعض بأنه ما رفعه التابعي الكبير الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعرّفه آخرون : بأنه الذي سقط منه راو أو أكثر من أي موضع كان ، وقريب من هذا : قول

---

(١) ـ أنظر : فقه " سعيد بن المسيّب " : ١ / ١٣٠ ، بتصرف .
(٢) ـ أنظر : تدريب الراوى / ٢٨ ، ٢٩ ،
(٣) ـ أنظر : فقه الامام " سعيد بن المسيّب " : ١ / ١٣٠ .

غير الصحابي : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والى كون المرسل خاص بالتابعي مال الحاكم وغيره من المحدثين ، ولكن ابن الصلاح والخطيب عارضوا تخصيص المرسل بالتابعي ، وقال ابن الصلاح : هذا المعروف في كتب الفقه وأصوله . (١)

وكما هو الحال في الآحاد فقد اختلف العلماء في الاحتجاج بالمرسل على مذاهب :-

المذهب الأول : لا يصح الأحتجاج به ، وهو مذهب الامام سعيد بن المسيّب ، نقله عنه النووى وغيره (٢)، وقد ذهب جمهور العلماء الى ما ذهب اليه الامام أبن المسيّب بل أن مسلم وابن عبد البر قد أدعيا : اتفاق المحدثين في ذلك .

وأيضاً روي هذا عن ابن سيرين وقال به الظاهريه .

وهذا المذهب ورد في روايه عن مالك وأحمد ، وبه قال الأسفرئيني ، والقاضي أبو بكر ، بل أنهما قد زادا على ذلك : عدم الاحتجاج بمرسل الصحابي إذا أحتمل سماعه عن التابعي . (٣)

لكن جمهور المحدثين يخالفونهما بالنسبه لمرسل الصحابي (٤) .

ولقد روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : ما يدل على عدم قبوله الخبر المرسل (٥) .

وحجة المذهب الأول : ـ

تكمن فيما أجمع عليه العلماء : من الحاجة الى معرفة المخبر ، فالتابعي اذا أرسل ربما يكون قد أرسل عن ضعيف ، اذ قد صح أن التابعين أو كثيراً منهم رووا عن الضعيف وغير الضعيف ، ولذلك يرد المرسل للجهل بالواسطه . (٦)

---

(١) ـ التمهيد : ١/١٩ ، وما بعدها ، معرفه علوم الحديث / ٢٥ ، وما بعدها ، مقدمة ابن الصلاح : ص ٥٥ .

(٢) ـ أنظر : المجموع : ١/ ٦٠ ،

(٣) ـ أنظر : فقه " سعيد بن المسيّب " : ١/ ١٣١ ، بتصرف .

(٤) ـ أنظر : تدريب الراوى : ص ١١٩ و ١٢٢ ، أختصار علوم الحديث : ص ٤٩ .

(٥) ـ أنظر : صحيح مسلم مع شرح النووى : ١/ ٨١ .

(٦) ـ أنظر : التمهيد : ١/ ٩ .

** أما المذهب الثاني لجمهور العلماء فهو المعروف بمذهب الشافعي :-

فقد روى عنه قوله : ((مراسيل ابن المسيّب عندنا حسن)) .(١)

وفيه ما يدل على أن مرسل غير سعيد بن المسيّب من كبار التابعين كمرسله أذا كانوا مثله لا يرون إلاّ عن الثقات(٢) ، وقد أختلف أصحاب الشافعي في توجيه الأول قوله هذا - أي قول الشافعي - على وجهين :-

** - الوجه الأول :-

أن مرسل سعيد عنده حجه ، لأنه قد تقصى وبحث وفتش بحرص شديد فوجد مسنده ، وقد قال الماوردي : أن هذا مذهب الشافعي في القديم .(٣)

** - اما الوجه الثاني :-

لأصحاب الشافعي ، وهو المنصور عند الشافعيه :

أن مرسل صغار الصحابة لا يحتج به .(٤)

أما مرسل التابعين الكبار ، الحفاظ الذين عرف عنهم أنهم لا يروون الاّ عن الثقات فهذا يحتج به إذا أعتضد بواحد من الأمور التالية :-

١) - ان يروى مسنداً من وجه آخر .

٢) - أن يروى مرسلا من طريق آخر .

٣) - أن يوافق فتيا بعض الصحابه .

٤) - أن يفتي بمقتضاه أكثر العلماء .(٥)

---

(١) - مختصر المدني هامش الأم : ٣/١٦٧ .
(٢) - أنظر : الأم : ٣/١٦٧ .
(٣) - أنظر : تدريب الراوى : ص ١٢١ .
(٤) - أنظر : فقه الامام سعيد بن المسيّب : ١/١٣٣ .
(٥) - أنظر : المجموع : ١/٦١ - ٦٢ ، الكفايه : ص ٤٠٥ ، شرحي الفيه العراقي : ١/١٤٩ و ١٥٣ .

** ـ اما المذهب الثالث : في الاحتاج بالمرسل :ـ

فهو محل سؤال يقال : هل المراد بالمرسل : مرسل التابعي ، أو مرسل اصحاب القرون الثلاثة الأولى ، أو مرسل أئمة النقل ـ وهم : من لهم أهلية الجرح والتعديل ـ في كل العصور(١) ؟ ، وهذا محل خلاف بين العلماء القائلين بهذا المذهب في كتب الأصول . (٢)

وقد قال بحجية المرسل : أبو حنيفة وأصحابه والثوري والأوزاعي ، وهو أيضاً المشهور عن مالك وأحمد ، وإلى ذلك ذهب جمهور الفقهاء ، وقد بالغ أصحاب هذا المذهب ، ومنهم جماعة من اصحاب مالك اذا قالوا : بتقديم المرسل على المسند ، بحجة : أن من أسند لك فقد أحالك على البحث عن أحوال من سماه لك ، ومن أرسل من الأئمة حديثا ـ مع علمه ودينه وثقته ـ فقد قطع لك بصحة ذلك وكفاك النظر . (٣)

ويرد على هذا : بأن التوثيق مع الأيهام غير كاف . (٤)

أما دعوى بعض العلماء الأجماع فيرد عليها : بخلاف من سبق ذكرهم في المذهب الأول ، ولكن إضافة لما قاله أبن عبد البر يجب الإشاره الى أنه قد قال : كل من عرف عنه الأخذ عن الضعفاء لا يحتج بمرسله . (٥)

---

(١) ـ فقه الامام أبن المسيّب : ١/١٣٣ ، بتصرف .
(٢) ـ أنظر : تيسير التحرير : ٣/١٠٢ ـ ١٠٣ ، بتصرف .
(٣) ـ أنظر : التمهيد : ١/٣٠ ، وما بعدها ، أعلام الموقعين : ١/٣٤ ، معرفة علوم الحديث : ص ٢٦ ، الكفايه : ص ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢ .
(٤) ـ أنظر : تدريب الراوى : ص ١٢٠ .
(٥) ـ التمهيد : ١/٣٠ .

لو أننا تتبعنا مراسيل التابعين بصفةٍ عامه لوجدنا أن فيها الصحيح وغير الصحيح وقد عُدّت مراسيل كبار التابعين صحيحه ، وحيث أن سعيد بن المسيّب يُعد اماماً للتابعين فقد ثبت بشهادة العلماء والأئمة الكبار بأن مراسيله صحيحه ، ولهذا روى عن أحمد وأبن معين قولهما : مراسيل سعيد أصح المراسيل عندنا .

وذكر ابن حجر : اتفاق المحدثين على ذلك ، وهذا القول : في أبن المسيّب صحيح لأنه يُعد ثقة من أعلام رواة الحديث سنداً ومرسلاً ، فقد كان ابن المسيّب اماماً في الحديث كما هو شأنه في سائر العلوم الأخرى .

==========

ج) ـ الفقـــــه :

كان الفقـه من أشـهر العلـوم التي عـلا فيهـا ذكر سـعيد لأنـه كان فقيـــه القلـب صافي النفـس أعلـم النـاس بآثار من تقدمـه ، خصب المعـرفه حتى أُطلـــق عليـــه ((فقيـه الفقهـاء)) .

رُوي عن علـي بن الحسـين قال : ((سـعيد بن المسيّب ، أعلـم النـاس فيمـا تقـدم من الأثـار ، وأفقههم في رأيـه)). (١)

وقبـل التعرف على دور سـعيد بن المسيّب في الفقـه الاسلامي لا بد من معرفـة فقهـاء الصحـابة الذين أخـذ عنهـم سـعيد وغيره من التابعين العلـم ، فكانـــوا السـبب الذي أدى إلى تكوين أبن المسيّب العلمي ، فكمـا نعلم أنـه في عهـد الرسـول ـ صلى الله عليـه وسـلم ـ ، كان النّاسُ يرجعـون اليه في كل أمورهـم وقضاياهـــم الشـرعيه ومختلف المشـاكل التي تعترضهم ، وبعـد وفـاته كان النـاس يرجعـون الى كبـار فقهـاء الصحـابة ، وكان المصـدرين الرئيسـيين لمعرفة الأحـكام وأسـتنباطهـا هـمـا : كتاب اللـه ، وسـنـه رسـوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهكذا فقـد أخـذ الصحـابة بالرأي ولكـن بعضهـم في حدود ضيقـه وعرفـوا بأهـل الحديث لأنهم كانـوا يتوقفـون عنـد النصـوص ، ويتحرجـون من الأخـذ بالرأي مع وجـود النص ، وكان إمـام مدرسـة الحديث زمـن الصحـابة هو عبد اللـه بن عمـر ـ رضي اللـه عنهمـا ـ(٢) في حين كان امـام أهـل الرأى في عصـر الصحـابة عمر بن الخطاب ـ رضي اللـه عنـه ـ وقـد تأثر بـه من الصحـابة عبد اللـه بن مسـعود في العراق ولذلك أنتشـر الفقـه في العراق ، بواسـطة ابن مسعود وتلاميـذه من التابعين ، ومن أشهرهم ابراهيم النخعي ، في الوقت الذى كان قـد أنتشـر الفقـه في المدينـه المنوره بواسـطة الصحـابة من الفقهاء والمحدثين

---

(١) ـ أنظـر : الطبقات الكبرى لأبن سعد : ٥/٩٥ .
(٢) ـ أنظـر : تاريخ التشريع : ص ١٦٠ .

وتلاميذهم من التابعين وأشهرهم : سعيد بن المسيّب ، وغيره من فقهاء التابعين ولهذا الأتجاه الذي أخذه كل فريق ، أنقسمت المدارس الفقهيه في عصر التابعين الى مدرستين :

مدرسة الحديث في المدينة المنوره وإمامها سعيد بن المسيّب . (١)

ومذهب هذه المدرسه أنها لا تأخذ بالرأي مع وجود النص من الكتاب أو السنه ، ولذلك كانت تعني بالنصوص والبحث عنها لأستنباط الأحكام الشرعيه منها وفي احوال ضيقه عند الضروره تأخذ بالرأي فيما ليس أثراً (٢) ، ومع أن بعض فقهاء هذه المدرسه كان يتوقف عن الفتيا إذا لم يجد النص : كسالم بن عبد الله بن عمر . (٣) إلاّ أن المؤرخين الذين سجلوا سيرة التابعين من فقهاء هذه المدرسه يذكرون بأن سعيد بن المسيّب كان يفتي في المسألة بعد أن يتدافعها الفقهاء حتي تصل اليه فيفتي ، وذلك لسعة علمه وخصوبة معرفته (٤) ، حتى أنه كان يعرف بالجرئ ، لجرأته على ألفتيا .

أما مدرسة أهل الرأى : فكان على رأسها ابراهيم النخعي ، وكانت ترى : أن احكام الشرع معقوله المعنى ومشتمله على مصالح العباد ، وأنها بنيت على أصول محكمه ، وعلل ضابطه لتلك الحكم فكانوا لبيحثون عن تلك الحكم التى شُرعت الاحكام لأجلها ، ويجعلون الحكم دائراً معها وجوداً وعدما (٥) ، ومع ذلك فقد وجد من أهل مدرسة الحديث من يميل الى الرأي : كربيعة بن عبد الرحمن شيخ الأمام مالك ،

---

(١) ــ أنظر : فقه الامام سعيد بن المسيّب : ١/ ١٣٥ .
(٢) ــ تاريخ التشريع : ص ١٦١ .
(٣) ــ أعلام الموقعين : ١/ ٨٦ .
(٤) ــ المصدر السابق : ١/ ٣٨ ، وتاريخ الفقه للسايس : ص ٧٦ .
(٥) ــ المصدر السابق : ص ٧٤ ،

كما كان من أهل مدرسة الرأي من يميل الى الأخذ بطريقة أهل المدينة كالشعبي ،[١] والذى يتضح لنا من هذه العجالة أن مدرسة الحديث وان كانت لا تأخذ بالرأي ، فأن ذلك فقط عند وجود النص .

أما مع عدم وجوده فانها كانت تأخذ بالرأي ، ولذلك كان الامام سعيد بن المسيّب وهو من أشهر فقهائها لا يحجم عن أستخدام الرأي اذا لم يجد النص . [٢]

وقد روى عن يحيى بن سعيد قال : ((أدركت الناس يهابون الكتب ، ولو كنا نكتب يومئذ ، لكتبنا من علم سعيد ورأيه شيئاً كثيراً)) . [٣]

وفقه أبن المسيّب قد علل فيه الأحكام وقاس عليها وأخذ بالمصالح المرسلة وقال : بسد الذرائع .

ومن آثار أبن المسيّب الفقهية رأيه في الأصناف ، فقد نص على تحريم التفاضل في تلك الأصناف ، إذا بيعت بمثلها ، وقد وقف بعض العلماء — كالظاهريه — على المنصوص عليه وأباحوا التفاضل فيما سوى ذلك ، بينما ذهب الجمهور الى خلاف رأي الظاهريه ، فأستنبطوا علة المنصوص عليه — على خلاف بينهم فيها — وقاسوا عليه غيره مما وجدت فيه العلة فحرموا التفاضل فيه .

وبالطبع مذهب الامام سعيد هو مذهب الجمهور [٤] : اذا لم يقف عند المنصوص عليه ، فقد جعل علة الربا في المطعوم ، هي : كونه مطعوماً مكيلاً أو موزوناً ، نَقَل ذلك عنه الامام الغزالي . [٥]

والخلاصه : أنه قد قال : بتحريم التفاضل في كل مطعوم : مكيل أو موزون ، إذا بيع بمثله ، ولذلك رَوى مالك عن أبي الزناد أنه سمع سعيد بن المسيّب يقول :

---

(١) — تاريخ التشريع : ص ١٦١ .
(٢) — أنظر : فقه الامام " سعيد بن المسيّب " : ١٣٧/١ ، بتصرف .
(٣) — أنظر: الطبقات الكبرى لأبن سعد : ١٠٤/٥ .
(٤) — أنظر: المرجع السابق : ١٣٩/١ .
(٥) — أنظر: شفاء الغليل : ص ٣٤٣ ،

" لا ربا الاّ في ذهب أو فضه ، أو ما يكال أو ما يوزن : مما يؤكل أو يشرب " . (١)

أما الضالة من الابل فقد كانت لا تلتقط حتى عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ(٢) عملا بنص الحديث الذى نهى فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن التقاطها (٣) لكون الناس في زمن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أهل أمانة وعفه ، فلما كان عصر عثمان كثر في الناس قلة الأمانه وعدم العفه عن أخذ الضاله فأمر : بالتقاطها ، وتعريفها وبيعها وحفظ ثمنها لمالكها ، وهكذا أيام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقد كان لا يأمن على ضوال الأبل من أهل الفتنه ، لأنهم كانوا يستحلون أموال مخالفيهم ، لذلك بنى الامام علي مكاناً تحفظ فيه ضوال الابل وتعلف من بيت المال ما يقيم أودها حتي يأتي صاحبها ، ولذلك ففعل عثمان وعلي ـ رضي الله عنهما ـ هو عمل بالمصلحه المرسله ، وقد عمل سعيد بن المسيّب بما قال به علي . (٤)

وقد قال الامام سعيد بسد الزريعة في بعض البيوع ومن ذلك قوله : بتحريم بيع العينه ، مع أن الظاهر من العينة أنها بيع ، ولكنه حرمها سداً لذريعة الربا (٥) ، مع العلم بأن الامام ابن المسيّب : كان لا يقف عند حد النقل عن الصحابه والعمل بأقضيتهم بل كان يؤدي به أجتهاده في بعض المسائل الخلافيه الى مخالفتهم مع أنه كان يعلم رأيهم في المسأله ، ومثال ذلك ما روى مالك عن يحيى بن سعيد ، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : ((قضى عمر بن الخطاب : في الأضراس ببعير ، وقضى معاوية بن أبي سفياني : في الأضراس بخمس أبعره ، قال سعيد : فالديه تنقص في قضاء عمر ، وتزيد في قضاء معاويه ، فلو كنت أنا لجعلت في الأضراس

---

(١) ـ أنظر : الموطأ هامش الزرقاني : ٣ / ٢٨٠ .
(٢) ـ الموطأ : هامش المنتقى : ٦ / ١٤٣ .
(٣) ـ أنظر : مسلم هامش النووى : ١٢ / ٢٠ .
(٤) ـ أنظر : الموطأ مع شرح المنتقي : ٦ / ١٤٣ ـ ١٤٤ ، تاريخ الفقه للسايس : ص ٤٨
(٥) ـ أنظر : مصنف عبد الرزاق : ٨ / ٢٩٥ ، المقدمات : ٢ / ٢١١ ، بداية المجتهد : ٢٠ / ١٢٣ .

بعيرين بعيرين فتلك الديه سواء)) . (١)

ومما قاله العلماء في منزلة الامام الفقهيه : قال قدامة بن موسي : ((كان سعيد أبن المسيّب يفتي والصحابة أحياء)). (٢)

وروى عن مالك : ((ان القاسم بن محمد سأله رجل عن شيء فقال : أسألت أحد غيري ؟ قال نعم : عروة بن الزبير ، وفلان ، وسعيد بن المسيّب ، فقال : أطع أبن المسيّب ، فانه سيدنا وأعلمنا)) . (٣)

وقال مكحول : سعيد بن المسيّب ، عالم العلماء ،(٤) وقد سئل مكحول والزهري : ((من أفقه من أدركتما ؟ فقالا : سعيد بن المسيّب ،(٥) وقال سليمان بن موسى : كان سعيد بن المسيّب ، أفقه التابعين ، وروى ميمون بن مهران قال : ((أتيت المدينه ، فسألت عن أفقه أهلها فدفعت الى سعيد بن المسيّب)). (٦)

وروى عن قتاده قال : ((ما جمعت علم الحسن (٧) الى علم أحد من العلماء الاّ وجدت له عليه فضلا غير أنه كان اذا أشكل عليه شيء كتب الى سعيد بن المسيّب يسأله)) . (٨)

وقال محمد بن يحيى بن حبان الفقيه التابعي : ((كان رأس من بالمدينه في دهره المقدم عليهم في الفتوى : سعيد بن المسيّب وكان يقال له فقيه الفقهاء)). (٩)

---

(١) ــ الموطأ : هامش الزرقاني : ٤/٨٨ .
(٢) ــ سير أعلام النبلاء : ٤/١٩٣ .
(٣) ــ تاريخ الاسلام : نفس الصفحه ، طبقات الفقهاء : ص ٥٨ .
(٤) ــ الجرح والتعديل : ٢/٦٠ .
(٥) ــ الجرح والتعديل : نفس الصفحه ، تهذيب التهذيب : ٤/٨٥ .
(٦) ــ الطبقات الكبرى : ٢/١٢٩ ، تهذيب التهذيب : ٤/٨٤ .
(٧) ــ الحسن : هو الحسن البصري الامام المشهور .
(٨) ــ طبقات الفقهاء : ص٥٨ ، تذكره الحفاظ : ١/٥٥ .
(٩) ــ الطبقات الكبرى : ٥/٩٠ ، سير أعلام النبلاء : ٤/١٩٣ .

وقال بن حبـان : ((كان سـعيد بن المسيّب من سادات التابعين : فقهـاً ، ودينـاً ، وورعـاً ، وعبـادةً ، وفضـلاً ، وكان أفقـه أهـل الحجـاز)) . (١)

وعن جعفـر بن ربيعـه قال : قلت لعراك بن مـالك : ((من أفقه أهل المدينـه ؟ ، قال : أما أعلمهـم بقضـايا رسول اللـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ وأبي بكـر وعمـر وعثمـان ، وأفقههـم فقهـاً ، وأعلمهـم بما مضـى من أمـر النـاس ، فسـعيد بن المسـيّب)) . (٢)

==========

---

(١) ـ أنظر تهذيب التهذيب : ٤ / ٨٧ .
(٢) ـ أنظر : صفـوة الصفـوه : ٢ / ٧٧ .

د) ـ علم الأنساب :ـ

أهتم السلف بهذا العلم فبرز فيه منهم خلق كثير كأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فكان أنسب العرب ، وغيره من الخلفاء الراشدين [1] ولهذا ترسم ابن المسيّب طريق الصحابة في طلب هذا العلم واتقانه حتي صار له فيه دراية شامله شهد له بذلك العلماء ، فأستشهدوا بأقواله فيه ، فقد قال ابن حزم : كان سعيد بن المسيّب وأبنه محمد بن سعيد ، والزهري : من أعلم الناس بالأنساب .

ومن أقواله في هذا الفن من العلم ، ما ذكره القرطبى وغيره : ((أن سعيد بن المسيّب قال : كان ولد نوح ثلاثه : ـ والناس كلهم من ولد نوح ـ فسام : أبو العرب وفارس ، والروم ، واليهود ، والنصارى ، وحام : أبو السودان ـ من المشرق الى المغرب ـ والسند ، والهند ، والنوبه ، والزنج ، والبربر ، وغيرهم ، ويأفث : أبو الصقالية ، والترك ، وللان ، والخزر ، ويأجوج ، ومأجوج .

وقال ابن عبد البر : فهذا سعيد بن المسيّب ، ووهب بن منبه قد أتفقا على هذا ، وغيرهما يخالفهما في ذلك ، ثم ذكر بعد ذلك خلاف العلماء في هذه المسأله . [1]

ومع اتقان الامام لهذا العلم وعلو شأنه فيه فان المتأمل يلاحظ ندرة كلامه وقلة المروي عنه فيه ، ولعل بعض النّاس في ذلك العصر كان يتعلم الأنساب من أجل الاطلاع على مثالب خصومهم ليتناولهم بالهجاء وخاصة عند أنقسام الأمة بعد مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ الاّ أن الامام سعيد بن المسيّب كان لروعه

---

(١) ـ أنظر : القرطبي : ١٥/٨٩ ، أبن كثير : ٤/١٢ ، القصد والأمم : ٩/١١ و ٢٩ ـ ٣١ .

وتدينه لم يفكر بهذا القصد أثناء تعلمه علم الأنساب .

ويدل على هذا ما روى ابن عبد البر بسنده عن يحيى بن طلحه بن عبيد الله قال : ((جئت سعيد بن المسيّب ، فسلمت عليه ، فرد علي ، فقلت : علمني النسب ، فقال : أنت تريد أن تساب النّاس ، ثم قال : من أنت ؟ فقلت : أنا يحيي بن طلحه ، فضمني إليه ، وقال : أنت محمداً : أبني ، فإنه عنده ما عندي ، انما هي :[1]

شعوب ، وقبائل ، وبطون ، وعمائر ، وافخاذ ، وفصائل)).[2]

==========

---

(١) — قال : ابن عبد البر : قال أهل النسب : الشعوب : الجماهير : الجراثيم التي تفرقت منها العرب ، تفرقت القبائل من الشعوب ، ثم تفرقت العمائر من القبائل ، ثم تفرقت البطون من العمائر ، ثم تفرقت الأفخاذ من البطون ، ثم تفرقت الفصائل من الافخاذ وليس دون الفصيله شيء .
وقيل : بعد الفصيله العشيره ، وليس بعد العشيره شيء ، وعليه فخزيمه شعب من شعوب العرب ، وكنانة قبيله ، وقريش عماره ، وقصي بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيله .

(٢) — أنباه الرواة : ص ٤٤ .

ثالثا : فتيـــاه

لا شـك أن من كان لديـه سـعة في العلـم وخصـوبة في المعرفـة لا يمكـــن أن يتهيب الفتيـا ، وهكذا كان الامام سـعيد بن المسـيّب جـريء في الفتيا ، وكان يُعـد بعد ابن عباس ـ رضي الله عنـهما ـ .

وقـد سـبق عنـد الكلام عن فقـهه بأن الفتيـا كانت إذا جاءت الى فقهـاء المدينـة يتدافعونها حتى تصل الى ابن المسـيّب فيفتي ، قال أبو أسـحاق : كنت أرى الرجـل في ذلك الزمـان ، وأنـه ليدخل ، يسـأل عن الشـيء ، فيدفعـه النـاس من مجلـس الى مجلـس حتى يُدْفَع الى مجلـس سـعيد بن المسـيّب كراهيـة للفتيـا ، وكانـوا يدعـونه سـعيد بن المسـيّب الجـريء . (١)

والشـيء الذى يجب الأشـارة اليه أن الجـرأة من بعض الذين لديه علم قليـل من أنصاف المتعلمين ، جـرأة مذمومـه ، ولكنهـا محمودة مطلـوبة من كل من كان فـي مسـتوى علم سـعيد بن المسـيّب وورعه وتدينـه ، ولذلك كانت جـرأة أبن المسـيّب فـي الفتـوى بعد أن اسـتكمل شـروطها وتعمق في شتى العلوم والالمام بأثار من تقدمـه من الصحـابة ـ رضوان الله عليهـم ـ بهذا فقـد أدّى أمانة العلم الذى حملـه وقام بالدور الملقى على عاتقـه ولم يتهـرب من عـبء المسئولية التي تنـاط بـه وأمثـاله من العلماء ، بل قـد قـام بواجبـه وافياً في الوقت الذي كانت قـد أستجدت المشاكل والقضايا التى ظهرت في حياة الناس في زمـن التابعين ، ولكنـه تصدى لها ووجد لها الحلـول الاسـلامية والفقهيـه . (٢)

---

(١) ـ أنظـر : أعلام الموقعين : ١/ ٣٥ .
(٢) ـ أنظـر : أعلام المسلمين " سعيد بن المسيّب سيد التابعين " ص ١٢٧ ، بتصرف

رابعا : أحتسابه

من خلال التعرف على سيرة سعيد بن المسيّب ودراستها أول ما يكتشفه الباحث هو كونه لا يتردد في قول كلمة الحق مهما كانت النتائج ، اذ لا يسكت عن أي أمراً يَرى فيه منكراً أو تجاوزاً على شرع الله أو مساساً بتعاليم الاسلام وخروج عنها سواء من عامة الناس أو خاصتهم من الحكام والأمراء والولاة ، ولذلك بقي يتصدى ويجادل أهل الباطل ويجهر برأيه دون خوف أو خنوع إلاّ من الله .

قال أبن الجوزى عنه : ((وقد كان سعيد بن المسيّب لا يغشى الولاة وهذا فعل الحازم)). (١)

والجهاد في سبيل الله وقد أقترن بالدعوة إلى الاسلام فعندما ترتفع رأية الجهاد في سبيل الله تكون الدعوة الاسلامية في هذه الحالة تمتد وتنشط وتجد المجال فسيح يسمح للدعاة بنشر الاسلام وتعاليمه ، في حين يكون العكس في حالة القعود عن الجهاد ، وحال الأمة الاسلامية اليوم خير دليل على ذلك ، لأن الجهاد هو أحدى الوسائل التي تقضي على المعوقات والعوائق التى تعترض الدعوة والدعاة الى الله ، وتحد من جهودهم وتبدد ثمرت ما يصلون اليه ، ولذلك كان الجهاد فرض على رأي جمهور العلماء مع أختلاف بينهم : في كونه فرض عين أو فرض كفايه ،(٢) والامام سعيد كان رأيه في الجهاد أنه فرض عين في العمر مرة واحده — على كل مسلم يستطيع أن يفيد معسكر المسلمين بشيء — مادي أو معنوي ، لقول الله تعالى : ((أنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله)). (٣) وسياق الآية يدل على وجوب الجهاد في سبيل اللّه في حالة الخف والنشاط والصحه أو في حالة الثقل

---

(١) — صيد الخاطر : ٢/٣٢٧ .
(٢) — يراجع تفصيل هذه المسألة في المسألة الأولى ، من باب السير .
(٣) — سورة التوبة : آية : ٤١ .

والعلّة ، وهذا أمر إلهي من الله وقد أمتثل الأمام سعيد فغزى في سبيل الله ، مع أنه كان في حالة يعذر فيها أمثاله ،(١) ولهذا روى الزهري قال : ((خرج سعيد أبن المسيّب الى الغزو ـ وقد ذهبت أحدى عينيه ـ فقيل : انك عليل صاحب ضرر فقال : أستنفر الله الخفيف والثقيل ، فإن لم تمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع)). (٢)

وفي نطاق دعوة الإمام أبن المسيّب وأحتسابه ، نجد أنّه أشتهر بصلابته في الحق ، فقد وصفه الحكم ابن اسحاق قال : ((كنت جالساً إلى سعيد بن المسيّب فقال لمولى له : اتق الله ، ولا تكذب عليّ ، كما كذب مولى أبن عباس على ابن عباس ، فقلت لمولاه ـ برد ـ : ذاك أني لا أدري ابن الزبير أحب الى أبي محمد " أبي أبن المسيّب " أو أهل الشام ؟! قال : فسمعها سعيد ، فقال : يا عراقي أيهما أحب إليك ؟ قلت : ابن الزبير أحب الى من أهل الشام ، قال : أفلا أضبث(٣) بك الآن فأقول : هذا زبيري ، فقلت : سألتني فأخبرتك ، فأخبرني أيهما أحب اليك ؟ قال : كلاّ لا أحب (٤) ، ومن ارشاداته للنّاس ما كان يقوله : ((لا تملؤا أعينكم من أعوان الظلمه إلاّ بالانكار من قلوبكم ، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحه)). (٥)

وهذا يعني أنّه كان الإمام يحث النّاس على وجوب إنكار المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب وهي مراتب إنكار المنكر كما في حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((من رأى منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ، وفي راوية ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل)). (٦)

---

(١) ـ أنظر فقه " سعيد بن المسيّب " : ١/ ٥٤ ، بتصرف .
(٢) ـ أنظر : تفسير الطبرى : ٨/ ١٥١ .
(٣) ـ ضبث الشيء ((من باب ضرب)) : أى قبض عليه بكفه .
(٤) ـ طبقات أبن سعد : ٥/ ١٣٥ ، المعارف لابن قتيبه : ص ٤٣٨ .
(٥) ـ حلية الأولياء : ٢/ ١٧١ ، البدايه والنهايه : ٩/ ١٠٠ .
(٦) ـ أخرج الحديث الامام مسلم في صحيحه : جزء أول باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان حديث رقم / ٧٨ .

ولقد كان الامام سعيد : في دعوته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر يعتبر مصلحاً اجتماعياً ، فكان يأمر الناس ويقوم بنفسه بالانكار لكل ما ينافي تعاليم الاسلام ومبادئه ، لكي يبقي المجتمع نظيفاً من الرذائل والنقائص ، لذلك ذكر عبد الرحمن بن حرملة أنه سأل سعيد بن المسيّب قال : " وجدت رجلا سكران ، أفتراه يسعني الآ أرفعه الى السلطان ؟ فقال له سعيد : ان أستطعت أن تستره بثوبك فأستره " . (١)

وفتوى الامام سعيد هذه أستنتجها من حديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — الذى قال فيه : ((ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة)). (٢)

وقد روىٰ عن أبن المسيّب أنه قال : ليس فيه إنسان الآ وله أخطاء وعيوب مهما كان علمه ، اذ ليس من شريف ولا عالم ، ولا ذي فضل الآ وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ، ذلك لمن كان فضله أكثر من نقصه ، وهب نقصه لفضله . (٣)

والحقيقة أن المجالات التي كان ينشر منها الامام سعيد بن المسيّب علمه ودعوته متعددة ومن أهمها :

حلقه ومجالسه العلميه ، ومواقفه مع الحكام ، وأحتسابه ، وفتياه ، ومواعظه ، وتفسيره للرؤيا . وقد تميزت بالترغيب والترهيب فهو يخوف ، ويرهب كل من يخالف تعاليم الاسلام وأحكامه ، ويرغب الناس في العمل الصالح والالتزام بتعاليم الدين وتطبيق أحكامه ويبين ما أعده الله للصنفين المخالفين والمتبعين من العقاب والثواب في الآخره .

---

(١) — طبقات ابن سعد : ٥/ ١٣٤ ، ١٣٧ .
(٢) — رواه مسلم من حديث أبي هريره ، — رضي الله عنه — .
(٣) — صفه الصفوه : ٢/ ٤٥ ، البداية والنهاية : ٩/ ١٠٠ .

ولقد كان لمواعظه ونصائحه الأثر العظيم في نفوس الناس ، وذلك لما كان يتحلى به من سعة العلم وخصب في المعرفه ، وزاد ذلك قوة ورصانه ما كان عليه من الصدق والصرامه .

ولهذا كانت حياة أبن المسيّب ملئة بالنشاط والحركه في سبيل نشر المعرفه والعلم ، والفقه والاجتهاد (١) ، ولم يكن هذا دأبه فحسب وانما أهتم بالموعظة الحسنه ، وأولى مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جُلّ أهتمامه ، فكان لا يخشى في الله لومه لائم ، ولا يمنعه من قول كلمة الحق سطوة حاكم أو تعذيب والي ، ففايته رضا الله حتى ولو سخط عليه النّاس ، فاذا أُنتهكت محارم الله نجده يزأر في وجه الظلمه والعصاة ، فلا يسكت عمّا يراه حقا ، ولا يعرض أو يتغاضى عمّا يراه منكراً ، فهو العابد الفذ الذي عرفته الدنيا ، والعالم الفقيه المرشد والداعية المصلح ، والمربي المحتسب ، والجندي المجاهد .

وهكذا ضحى ابن المسيّب براحته ووقته وماله ، وجاهه في سبيل الاسلام ودعوته ونشر تعاليمه والوقوف في وجه من يحاول وضع المعوقات أمام دعوة الاسلام وشريعته السمحه .

---

(١) ــ فقه الامام " سعيد بن المسيّب " : ١٠٧/١ ، بتصرف .

خامسا : تفسيره للرؤيا

كما أشتهر الامام سعيد في كل فن وعلم كان كذلك في تعبير الرؤيا ، فقد كان إماماً فيها كما هو اماما في التدين والزهد والعباده والورع .

قال الواقدي : كان سعيد بن المسيّب من أعبر الناس للرؤيا ، وكان قد أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر ، وأخذته أسماء عن ابيها أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ . (١)

وعلم الرؤيا يتطلب ذهن متوقد الادراك ونفس صافيه وذكاء أو فراسه فطريه وورع وتدين وعلاقة وثيقة مع الله ، وأبن المسيّب قد توفرت فيه هذه المتطلبات وأكثر ، ولذلك وثق فيه الناس وصدقوه ، لما عرفوا فيه الصدق في تعبير الأحلام ، ولذلك قال القرطبي : ((كان يوسف نبى الله ـ عليه السلام ـ أعلم الناس بتأويل الرؤيا ، وكان نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ نحو ذلك ، وكان الصديق ـ رضي الله عنه ـ من أعبر الناس للرؤيا ، ونحوه أو قريب منه سعيد بن المسيّب ، فيما ذكروا)). (٢)

وليس هذا بكثير في حق سعيد بن المسيّب ، وهو قد كان أفقه أهل زمانه ، قال ابن قتيبة : ((كان سعيد بن المسيّب أفقه أهل الحجاز ، وأعبرهم للرؤيا)) . (٣)

وقد عرف الامام بتأديه مع كل من يسأله عن تفسير رؤيا ، لهذا قال ابن نسطاس : سمعت سعيد بن المسيّب يقول للرجل إذا رأى الرؤيا وقصها عليه : خير رأيت . (٤)

ولهذا فعندما وصل الامام سعيد الى هذه المعرفة والدراية بهذا الفن أخذ الناس يعرضون عليه ما يرونه في أحلامهم أملاً في تعبيرها وتفسيرها لهم ، ومن هذه النماذج والوقائع التي كانت تعرض عليه ما يلى :

---

(١) ـ الطبقات الكبرى : ٥ / ٩١ .
(٢) ـ تفسير القرطبي : ٩ / ١٢٩ .
(٣) ـ المعارف : ص ٤٣٧ .
(٤) ـ طبقات ابن سعد : ٥ / ١٢٥ .

** — روى عن مسلم بن خياط قال : رجل لابن المسيّب : ((أني أراني أبول في يدي ، فقال : أتق الله ، فان تحتك ذات محرم ، فنظر ، فاذا أمرأة بينها وبينه رضاع)). (١)

** — وقال سعيد بن المسيّب : ((التمر في النوم رزق على كل حال ، والرّطب في زمانه رزق)). (٢)

** — وقال الامام ابن المسيّب : الكبل (٣) في النوم ، ثبات في الدين)). (٤)

** — وقال له رجل : ((اني رأيت كأني جالس في الظل فقمت الى الشمس ، فقال أبن المسيّب والله لئن صدقت رؤياك لتخرجن من الاسلام ، قال : يا أبا محمد ، أني أراني أُخرجت حتى أُدخلت في الشمس .

فقال : تكسره على الكفر ، فرجع ، ثم قدم المدينه ، وكان يخبر بهذا)). (٥)

** — وعن عمر بن حبيب بن قليع قال : كنت جالساً عند سعيد بن المسيّب يوما ، وقد ضاقت على الأشياء وأرهقني الدين ، فجلست الى أبن المسيّب ، ما أدري أين أذهب ، فجاءه رجل ، فقال : يا أبا محمد ، أني رأيت رؤيا ، قال : ما هي ؟ قال : رأيت كأني أخذت عبد الملك بن مروان وأضجعته الى الأرض ، ثم بطحته فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد ، قال : ما أنت رأيتها ، قال : بلى ، أنا رأيتها ، قال : لا أخبرك ، أو تخبرني ، قال : أبن الزبير رآها ، وهو يعثني إليك ، قال : لئن صدقت رؤياه ، قتله ، عبد الملك بن مروان ، وخرج من صلب عبد الملك أربعه كلهم يكون خليفه)) . (٦)

---

(١) — الطبقات الكبرى : ٥/٩٢ ، المعارف : الصفحه السابقه نفسها .
(٢) — الطبقات : ٥/٩٢ .
(٣) — ((الكبل)) : أي القيد .
(٤) — المصدر الأول ونفس الصفحه .
(٥) — الطبقات الكبرى : ٥/٩٣ .
(٦) — وهم : الوليد وسليمان ويزيد وهشام ، تولوا الخلافه بعد أن أمتنع عبد الملك عن بيعتها لاخيه عبد العزيز بن مروان ، وقد توفي بمصر سنة ٨٤ هـ .

قال عمر بن حبيب : فدخلت إلي عبد الملك بن مروان بالشام ، فأخبرته بذلك عن سعيد بن المسيّب ، فسره ، وسألني عن سعيد وعن حاله ، فأخبرته ، وأمر لي بقضاء ديني ، وأصبت منه خيراً . (١)

** ـ عن شريك بن أبي نمر قال : قلت لابن المسيّب : رأيت في النوم كأن أسناني سقطت في يدي ، ثم دفنتها ، فقال ابن المسيّب : ان صدقت رؤياك دفنت اسنانك من أهل بيتك . (٢)

** ـ وقال رجل من فهم لابن المسيّب : أنه يرى في النوم كأنه يخوض النار ، فقال : ان صدقت رؤياك ، لا تموت حتى تركب البحر ، وتموت قتلاً ، قال : فركب البحر ، فأُشغي على الهلكه ، وقتل يوم قديد بالسيف . (٣)

** ـ قال الحصين بن عبيد الله من بني نوفل طلبت الولد ، فلم يولد لي ، فقلت لابن المسيّب : أني أرى أنه طرح في حجري بيض ، فقال : أبن المسيّب: الدجاج عجمي ، فاطلب سبباً الى العجم ، قال : فتسريت فولد لي ، وكان لا يولد لي . (٤)

** ـ اخرج ابن سعد عن أبن عمران بن عبد الله بن طلحه قال : رأى الحسن بن علي كأن بين عينيه مكتوباً " قل : هو الله أحد " فأستبشر به أهل المدينه ، فقصوها على سعيد بن المسيّب فقال أن صدقت رؤياه ، فقلّ ما بقي من أجله فما بقي الاّ أيام حتى مات . (٥)

---

(١) ـ طبقات ابن سعد : ٥/١٢٣ .
(٢) ـ طبقات ابن سعد : ٥/١٢٣ ، المعارف : ص ٤٣٧ .
(٣) ـ طبقات ابن سعد : ٥/١٢٤ .
(٤) ـ طبقات ابن سعد : ٥/١٢٥ .
(٥) ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٢٩ .

سادسا : ثباته على الحق

عرف الناس الامام سعيد بن المسيّب ليناً ودياً يعفو عن كل من أساء اليه ، ولكن هذا كان فيما يخص ذاته ، أما اذا تعلق الأمر بتعاليم الاسلام ومصالح المسلمين فان الحال تتغير بالنسبة لأبن المسيّب فهو مشهور بصلابته وثباته على الحق والدفاع عنه ومجادلة أهل الباطل والثبات على رأيه .

وهكذا كان الامام مناضلا صعب المراس أمام خصومه ، فلا ينازله أحد الاّ وهزمه بالحجة الدافعة والدليل القاطع ، ومما عرف عنه أنه كان شجاعاً لا تأخذه في الله لومة لائم ، فكان يقف مع ما يرى انه حقا ، ولا يتزحزح عنه حتى يظهره الله ، ولا يبالي في سبيل ذلك بما يتعرض له من التعذيب والاهانة ، وقد تصل الأمور الى تعريض رقبته للسيف ، ولكنه كان شجاعا شديد الثبات صلب في غير صلف .

ومن الروايات التي تقص علينا مكانة سعيد ومهابته عند من كانوا يعادونه أنه روى عن زيد بن علي جدعان قال : قيل لسعيد بن المسيّب : ((ما شأن الحجاج[1] لا يبعث إليك ولا يهجك)). [2] ولا يؤذيك ؟ قال : والله ما أدري غير أنه صلى ذات يوم مع أبيه صلاة فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها ، فأخذت كفاً من حصباء فحصبته بها ، قال الحجاج : فما زلت أحسن الصلاة)) . [3]

ويذكر لنا التاريخ بأن سعيد بن المسيّب قد أُمتحن في أمر البيعة للأمراء ثلاث مرات فأمتنع عن ذلك فجلدوه فصبر وثبت على رأيه ، ولم يستطيعوا أن يثنوه عن صواب ما أعتقده ، ولذلك بقي الامام سعيد في مقدمة علماء عصره ، وقد كان كثير من التابعين يأخذون عنه العلم في معظم المسائل .

---

(١) — الحجاج : هو الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق الطاغيه زمن الوليد بن عبد الملك وقاتل الفقيه الورع سعيد بن جبير .

(٢) — يهجك : أي يثيرك ويزعجك .

(٣) — أنظر ذلك في : العبر : ١/ ٦٧ ، شذرات الذهب : ١/ ٧٠ ، الامامه والسياسه : ٢/ ١١ ، البدايه والنهايه : ٨/ ٢٢٠ .

سابعا : مواقفه السياسيه

لكي نعرف مواقف الأمام السياسيه لا بد من التعرف على الظروف التي كانت في بداية تأسيس الدولة الاسلاميه وما صاحب ذلك من مواقف وما تلاها ايضاً في زمن الخلفاء الراشدين .

ولذلك فنحن نعلم أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أرسى دعائم الدولة الاسلاميه في المدينه ووحد كيانها وسير الجيوش ودعا النّاس الى الاسلام والدخول فيه وبذلك دخل سكان الجزيرة العربية الى الاسلام ، فكانت الجزيره العربيه قد أنضوت تحت حكم الدولة الاسلاميه الأولىٰ ، ولكن بعد وفاة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ظهر في الأمة أمران أحدهما ديني والآخر سياسي .

وأول هذه الأمور وهو الديني : ظهر مع ردة قسم عظيم من قبائل العرب في نجد عن الاسلام امّا ردة كاملة عن الاسلام ، واما بردة جزئيه ، ويتمثل ذلك بظهور قوم يقرون بالشهاده والصلاة ويمنعون الزكاة . (١)

اما الأمر الثاني : فهو سياسي : ويتمثل في النزاع الذى حدث بين المسلمين على من يكون خليفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد انحاز أكثر الأنصار الى سعد أبن عباده ، وأنحاز بعض من المهاجرين الى بني هاشم ، وبقي المسلمون ينتظرون نتائج هذا الأنقسام ، الإّ أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ حسم هذا الأمر بقبوله البيعة ليكون خليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أستطاع أن يلم شعث الأمة سياسياً وكان أول عمل قام به أبو بكر هو محاربة المرتدين عن الاسلام حتى قضى عليهم (٢) ، ثم وجه الجيوش للفتح الاسلامي .

---

(١) ـ فقه الامام " سعيد بن المسيّب " : ١/

(٢) ـ تاريخ الطبرى : ٣/٤٢٨ ، تاريخ ابن خلدون : ٢/٨٥ ، العبر : ١/١٦ ، مرآة الجنان : ١/٦٩ .

وعندما حضرت أبا بكر الوفاة ، خاف على المسلمين التنازع على الخلافه كما حدث بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لذلك جمع كبار الصحابة وأستشارهم في مبايعة عمر بالخلافة من بعده فوافق معظمهم وأستطاع أبو بكر أن يقنع من عارضوا بصواب هذا الرأي ثم عرض الفكره على عامة الأمة فوافقوا عليها ، وحين توفي أبو بكر بايع المسلمون عمر بالخلافة دون أن يختلف عليه أحد ،(١) وقد أرتقت الدولة في عهده رسوخا وقوة وأتسع نطاق الفتح الاسلامي فازدادت الدوله اتساعا وعمّ المسلمين خير كثير وأزدهرت دولة الاسلام اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ، وعندما طُعن عمر ، وحضرته الوفاة ، طلب من المسلمين أن يختاروا لهم شخص للخلافة ، ولم يشر عليهم بشخص معين ، الاّ أنه أشار عليهم أن يختاروا واحداً من الستة الذين مات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو عنهم راض وهم :

عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص . (٢)

ولما توفي عمر أجتمعت كلمة المسلمين على مبايعة عثمان بالخلافة (٣) ، وفي عهده استمرت الفتوحات وأتسعت ونعم المسلمون في عهده بالرخاء وفاضت عليهم الخيرات حتى أبطرتهم ، ومع ذلك ظهرت بعض الأحداث والأختلافات وأدت في النهايه الى مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ(٤).

وكان مقتل عثمان بداية لوقوع الأنقسامات السياسيه بين المسلمين ، على الرغم من أن البيعة بالخلافه قد تمت من قبل معظم الأمة لعلي الاّ أنه قد أنشق الأمويون

---

(١) ـ تاريخ الطبرى : ٣/٤٢٨ ، تاريخ ابن خلدون : ٢/٨٥ ، العبر : ١/١٦٠ مرآة الجنان : ١/٦٩٠

(٢) ـ فقه الامام " سعيد بن المسيّب " : ١/٨٢٠

(٣) ـ تاريخ الطبرى : ٤/٢٢٧ وما بعدها ، وتاريخ بن خلدون : ٢/١٢٤٠

(٤) ـ أنظر : مقدمة بن خلدون : ٢/١٣٨ ، تاريخ الطبرى : ٤/٣٤٠٠

عن اجماع الأمـــه لا ســيما بعد أن أســتقل معاوية بالشام وأصبحوا قوة سياسيه ولذلـــك جـرت المعارك الطاحنـه بين علـي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ وقد أنتهت تـــلك الحـروب بحادثه التحكـيم بينهما وكان من نتائج حادثة التحكيم ظهور قوة ســـياسيه أخـرى وهي الخـوارج وهم الذين عارضـوا فكـرة التحكـيم وبعد ما تمت وخرجوا على الامـام علـي ـ كرم الله وجـه ـ .

وهكذا عاد أنقسـام الأمـة من جديد الى ثلاث طوائف ، وظل هذا الانقسام قائـم حتى استشهاد الامام علـي ـ رضي الله عنـه ـ وآل الأمـر لأبنـه الحسـن والذي تنـازل لمعاويـه عن الخلافـه حفاظا لوحـدة الأمـة ،[1] وجمع شـملها وتوحيد كلمتها .

وبتنازل الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ لمعاوية هدأت الحروب وأستتب الأمن بعـض الوقت وأن كان لا يزال فيـه مناوين لقيـام الدولة الأمويـة من المسلمين من الصحابة والتابعين ، وكانت قـد قويت هذه المعارضة بعد أن أقدم معاويه ـ رضي الله عنـه ـ على أخـذ البيعـة لأبنـه يزيد من بعـده ليكـون خليفـة للمسلمين .

وقـد عارض هذه السـنه التي أحدثها معـاوية كبار فقهاء الصحابة والتابعـين ، وهي البيعـة بولاية العهـد وكان الأمـام سـعيد بن المسيّب في مقدمة التابعين الذيـن وقفـوا ضد اتمام البيعـه لأنهـا خرجت عن سـنة الرسول ـ صلى الله عليه وســـلم ـ وخلفائه الراشـدين ، ولم تتم برضـا الأمـة وانما كانت تؤخـذ بالاكراه والتعذيب ثـم ان سـيرة يزيد لا تمكنـه من خلافـة المسـلمين .

---

(١) ـ الأمامة والسياسة : ١/٣٦٣ وما بعدها .

مواقف الامام من البيعـــه

أ) ــ موقفه من البيعه ليزيد بن معاويه :ــ

كان أهل المدينة المنوره قد خلعوا الطاعه ليزيد بن معاويه لسوء سيرته وذلك سنة ثلاث وستون (٦٣) هجريه ، فأرسل إليهم جيشاً بقيادة " مسلم بن عقبة المري " فحاربهم في موقعة الحرّة الشهيرة وقتل منهم ما يزيد على أربعة الآف (١) من الصحابة والتابعين ، وقد أستمرت المعركة ثلاثة أيام ، بعدها دعا مسلم بن عقبة أهل المدينة إلى البيعة ليزيد بالقوة ، وجيء إليه بسعيد بن المسيّب ليبايع فروى عن الامام سعيد أنه : أشترط أن يبايع على سيرة أبي بكر وعمر ، فأمر به ليضرب عنقه فشهد رجل أنه مجنون فخلى سبيله .(٢)

وهناك رواية أخرىٰ عن مصعب الزبيري بأنّ سعيد بن المسيّب قُدِّمَ ضمن من أخذت منهم البيعة ليزيد بن معاويه ، حيث أن مسلم بن عقبه لما أتاه سعيد قال له : بايع أمير المؤمنين على أنك عبد قن ، فان شاء أعتقك وإن شاء أسترقك ، فقال سعيد : لا أبايع عبداً ولا حراً ، فقال مسلم : مجنون والله ، فخنقه الشرطيان اللذان آتيا به حتى ثقل في أيديهما فظنّا أنه قد مات ، فأرسلاه فسقط(٣) ، ثم أفاق فقال : لا إلٰه الاّ الله ، فتقدم مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان إلى مسلم ، فشهدا : أنه مجنون ، فقال : قد ظننت ذلك ، فأرسلاه ، فأنصرف راجعاً الى المدينه .

فلحقه مروان وعمرو فقالا له : الحمد لله الذى سلّمك يا أبا محمد ، فقال : ويحكما أتشهدان بالزور وأنا أسمع ، وتنفسان على الشهاده ؟ . والله لا كلمتكما أبداً .(٤)

---

(١) ــ العبر : ٦٧/١ ، شذرات الذهب : ٧٠/١ ، الامامة والسياسة : ١١/٢ . تاريخ الطبرى : ٤٨٢/٥ ، الطبقات الكبرى : ٩٧/٥ ، البدايه والنهايه : ٢٢٠/٨

(٢) ــ المصدر السابق : ٢٢١/٨ .

(٣) ــ فقه الامام " سعيد بن المسيّب " : ٨٦/١ .

(٤) ــ نسب قريشى : ص ٣٧١ .

والذى يتضح من رفض الامام سعيد البيعة ليزيد هو عدم صلاحيته لسوء سيرته وفشل سياسته بحيث لا يصلح لخلافة الأمة ، وأكبر دليل على ذلك ، هو موقعة الحرّه التي شنها على أهل المدينه .

ولهذا كان شرط الإمام عندما طلبت منه البيعه في الرواية الأولى وهو قوله : ((لا بايع إلّا بشرط ، كسيره أبي بكر وعمر)) وهذا هو المانع للامام وغيره من البيعة ليزيد لأن في ذلك تشجيع له على ظلمه للنّاس وتعسفه . (١)

ب) ــ موقفه من البيعة لعبد الله بن الزبير :ــ

من المعروف أن أبن الزبير قد خرج على يزيد ، فأرسل إليه الجيش الذى قاتل أهل المدينة في موقعة الحرّه الشهيره ، وقد حاربه يزيد حتى حاصره في مكه ، ولكن لموت يزيد " سنة أربع وستين " (٦٤) للهجره ، فانصرف جيشه عن حصار ابن الزبير في مكه المكرمه ، وعاد الى بلاد الشام ، فسنحت الفرصه لأبن الزبير فأخذ البيعة له في أكثر الأقطار الاسلاميه عدا الشام الذى تمت البيعة فيها لمروان بن الحكم . (٢)

وعادت الأمة الى الأنقسام بين أبن الزبير في الحجاز ومصر والعراق ، ومروان بن الحكم في الشام .

وفي حين كانت المدينة قد بايعت أبن الزبير ، رفض الامام سعيد بن المسيّب، البيعة له وقال : لا أبايع حتى يجتمع عليه النّاس ، وكان والي أبن الزبير على المدينه ، جابر بن الأسود بن عوف الزهري ، فلما دعا الامام أمتنع ، فجلده ستين سوطاً ، فبلغ ذلك ابن الزبير ، فكتب الى جابر يلومه ، ويقول : مالنا ولسعيد ؟ دعه)) .(٣)

---

(١) ــ فقه الامام " سعيد بن المسيّب " نفس الصفحه السابقه .
(٢) ــ تاريخ الطبرى : ٥/٤٩٦ ، مراصد الاطلاع : ٢/١٣٥٤ ، والعبر : ١/٦٩ .
(٣) ــ أنظر : طبقات ابن سعد : ٥/٩٠ .

ورأى الامام سعيد في عدم البيعة لابن الزبير واضح : وهو أنقسام المسلمين بين مؤيد لـه ومؤيد لمروان بن الحكم ، ولذلك كان قوله عندما طلب منه البيعه :

((لا حتى يجتمع الناس)).

ج) ـ موقف الامام سعيد من البيعة بالعهد للوليد وسليمان :ـ

كان الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قد عزم على البيعة بولاية العهد لأبنيه ـ الوليد وسليمان ـ بحيث تكون الخلافة للوليد ثم يتولى من بعده سليمان ، ولذلك كتب لولاته في الأمصار الاسلامية بأخذ البيعة لهما وكان من ضمن هؤلاء الولاة هشام أبن إسماعيل المخزومي والي المدينة فكتب اليه عبد الملك يأمره بأخذ البيعة من أهل المدينه ، ففعل هشام ذلك ، ولمّا أتي بسعيد بن المسيّب ليبايع لهما ـ أي الوليد وسليمان ـ أمتنع أبن المسيّب عن ذلك وقال : لم أكن لأبايع بيعتين في الاسلام بعد ما سمعت حديث رسول اللّهِ ـ صلى اللّهُ عليه وسلم ـ أنه قال : ((إذا كانت بيعتين في الاسلام : فأقتلوا الأحدث منهما)). (١)

وكان قد آتاه عبد الرحمن بن عبد القاريء ، فقال : أني مشير عليك بثلاث خصال : أختر أيها شئت ، فقال : ما هي ؟ قال له : إنك تقوم حيث يراك هشام بن اسماعيل في المسجد ، فلو غيرت مقامك هذا ، قال : ما كنت لأغير مقاماً قمته منذ أربعين سنه .(٢)

قال فالخصلة الثانية ، قال : وما هي ؟ قال أخرج معتمراً ، قال : أبن المسيّب : وما كنت لأجهد نفسي وأنفق مالي في شيءٍ ليس لي فيه نية .

قال فالخصلة الثالثة : وهي أن تبايع للوليد ثم لسليمان ، قال سعيد : أرأيت أن أعمى اللّهُ قلبك كما أعمى بصرك فما عليّ ؟ ! ! ! .

---

(١) ـ وهذا الحديث قد رواه الامام مرسلا ، كما أنه قد ورد في صحيح مسلم ج ٦ ، ص ٢٣ عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((اذا بويع لخليفتين ، فأقتلوا الأخير منهما)) وقد رواه الامام احمد بمعناه عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ الجزء ٢ صفحة ١٦١ وطبعة المكتب الاسلامي .

(٢) ـ فقه الامام " سعيد بن المسيّب " ١ / ٩٠ وما بعدها ، بتصرف .

فلمَّا علم القرشيون بما عزم عليه هشام من أخذ البيعة من أهل المدينة ذهبوا إليه وطلبوا منه أن لا يتعجل على ابن عمه [1] سعيد حتى يكلمه ويخوفه القتل عسى أن يبايع [2] ويدخل فيما دخل فيه الناس .

فأجتمع القرشيون مع هشام ، وأرسلوا الى سعيد مولى له كان في الحرس ، وقالوا له اذهب الى سعيد بن المسيَّب فخوفه وأخبره أنه مقتول فلعلَّه يدخل فيما دخل فيه الناس .

فجاء مولاه فوجده قائماً يصلي في سجده ، فبكى مولاه بكاءً أشد يداً ، فقال له سعيد : ما يبكيك ويحك ؟ قال : أبكي مما يراد بك ، قال سعيد ، وما يراد بي ويحك ؟ قال : جاء كتاب من عبد الملك بن مروان إلي هشام بن إسماعيل : إن لم تبايع والاَّ قتلت ، فجئتك لتتطهر ، وتلبس ثياباً طاهره ، وتفرغ من عهدك : إن كنت لا تريد أن تبايع .

فقال له سعيد : لا أم لك ، قد وجدتني أصلي في مسجدي ، أفتراني كنت أصلي ولست بطاهر وثيابي غير طاهره ؟

فإذا شاءوا فليفعلوا ، فإني لم أكن لأبايع بيعتين في الاسلام .

قال : فرجع إليهم المولى فأخبرهم : برد سعيد ، فكتب والي المدينة الى عبد الملك يخبره : برفض سعيد بن المسيَّب أن يبايع لهما ، فكتب عبد الملك إليه مالك ولسعيد ؟ وما كان علينا منه أمر نكرهه ، وما كان حاجتك أن تكشف عن سعيد وتأخذ بيعته ؟ ما كنَّا نخاف من سعيد ، فأمَّا إذا قد ظهر ذلك وأنتشر أمرهُ في النَّاس ، فأدعه إلي البيعه ، فإن أبى فاجلده مائة سوط ، وألبسه ثياباً من شعر وأوقفهُ في السوق

---

(١) ــ ابن عمه : أى يعني أنه من بني مخزوم .
(٢) ــ الامامة والسياسة : ٢/٨٧ ، بتصرف .

على النّاس ، لكيلا يجترئ علينا أحد غيره .

فلما وصل الكتاب ، أرسل اليه هشام ، فأنطلق سعيد اليه ، فلما آتاه دعاه الى البيعة ، فأبى أن يجيبه ، فألبسه ثياباً من شعر ، وأوقفه في السوق بعد أن جلده مائه سوط . (١)

وهذا الامتناع من الامام أبن المسيّب ، عن البيعة سواء ليزيد بن معاويه أو لعبد الله ابن الزبير ، أو للوليد وسليمان أبني عبد الملك بن مروان ، على الرغم من تعرضه للجلد والتهديد بالقتل والإهانة ، ولكنه أصر على موقفه هذا في قوة وصلابه .

وهذا الموقف الذى أعتبره المؤرخون موقف سياسي لم يكن منطلقه عداء شخصي ، أو منازعة على الخلافة ، وقد أكد هذا كل الذين كانوا يطلبون البيعة بما فيهم عبد الملك بن مروان الذي أعترف في مرات كثيرة بأن أبن المسيّب ليس منه ضرر ولا يخافهُ مع أنه أمر بجلده . (٢)

ولذلك كان موقف الإمام : منطلقهُ شرعي بحت إذ يرى عدم البيعة لأحد مادام الخليفه حي كما سبق ذكره .

وكان يعتمد في رأيه هذا على حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي مرّ ذكره ، وليس هذا رأي الإمام في البيعة وحسب بل أنه كان يرىٰ أن ولاية العهد أو البيعة لا يترتب عليها إلزام الأمة بأستخلاف من عهد إليه بها ، الاّ إذا ترتب علىٰ هذا مبايعة وأختيار بعد وفاة الخليفه الأول أسوة بالطريقة التي تولي بها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لأن الإمام سعيد : يرى بأن عهد الخليفة لشخص بالخلافة غير ملزمة للأمة ، ثم أنه يرى أن البيعه في حياة الخليفه غير شرعيه .

---

(١) ـ أنظر : الأمامة والسياسة : نفس الصفحه السابقه وما بعدها .

(٢) ـ الطبقات الكبرى : ٥/٩٨ .

وقد كان الأمام يرغب أن تجتمع كلمة الأمة على واحد من الذين تنازعوا السلطة والخلافة ، ولذلك فالقوى السياسية في عصره لم يؤثر أن الامام كان ميالا لأي منها . (١)

وهكذا كان موقف سعيد من البيعة ومن القوى المتصارعه في عصره ، يتسم بالحياد التام وكان يحبذ أن تجتمع الأمة على واحد أيّاً أن كان من المسلمين مادام يتوفر فيه الصلاح والأستقامه .

د) ـ موقفه من بني مروان :

كان موقف الامام سعيد بن المسيّب من خلفاء بني أمية من بني مروان ، تحدده العلاقه التي كانت بينه وبينهم ، والتي أتسمت بالفتور والبرود وغلب عليها الجفاء .

وقد أنحصرت مواقف الامام ابن المسيّب مع كل من عبد الملك بن مروان ، وأبنه الوليد بن عبد الملك ، وذلك حين جاء كل منهما لزيارة المدينة المنوره في أيام خلافته ، حيث كان لكل منهما حادثة تحدد هذه العلاقه وتصف ذلك الموقف الذي تم مع الامام على النحو التالي :ـ

أولا : فعلاقته مع عبد الملك تحدده الحادثه التاليه :

عن ميمون بن مهران قال : ((قدم عبد الملك بن مروان المدينة ، فامتنعت عليه القائله)) (٢) وأستيقظ فقال لحاجبه : أنظر ، هل في المسجد أحد من حداثنا ،(٣) من أهل المدينه ، قال : فخرج فإذا سعيد بن المسيّب في حلقة له ، فقام حيث ينظر إليه ، ثم غمزه وأشار اليه بأصبعه ، ثم ولّى ، فلم يتحرك سعيد ولم يتبعه ، فقال : أراه لم يفطن فجاءه ثانية فدنا منه ، ثم غمزه وأشار اليه ، وقال : ألم تراني اشير إليك ؟ قال : وما حاجتك ؟ قال : أستيقظ أمير المؤمنين فقال : أنظر أحد

---

(١) ـ المصدر السابق : ٥ / ١٠٠ .
(٢) ـ القائله : بمعنى القيلولة ، وهي النوم في الظهيره ، أنظر لسان العرب : ١١ / ٥٧٧
(٣) ـ " حداثنا " قال في اللسان : فلان حدثك ، أي : محدثك ، ورجل حدث ملوك اذا كان صاحب سمرهم .

من حداثي ، فأجاب أمير المؤمنين ، فقال : أرسلك اليّ ؟ ،قال : لا ، ولكن قال : اذهب فأنظر بعض حداثنا من أهل المدينه ، فلم أر أهيأ منك ، فقال سعيد : أذهب فأعلمه أني لست من حداثه ، فخرج الحاجب وهو يقول : ما أرى هذا الشيخ الا مجنونا ، فأتي عبد الملك فقال له : ماوجدت في المسجد الاّ شيخا ، أشرت اليه فلم يقم فقلت له : أمير المؤمنين قال : أنظر هل ترى في المسجد أحدا من حداثي ، فقال : اني لست من حداث أمير المؤمنين ، وقال : أعلمه ، فقال عبد الملك : ذاك سعيد بن المسيّب ،فرعه))(١)

وأيضا روى عن عمران بن عبد الله الخزاعي ، قال : ((حج عبد الملك بن مروان فلما قدم المدينة ووقف على باب المسجد ، فأرسل الى سعيد بن المسيّب رجلا يدعوه ولا يحركه .(٢) قال : فأتاه الرسول ، وقال : أمير المؤمنين واقف بالباب يريد أن يكلمك ، فقال : ما لأمير المؤمنين اليّ حاجة ، وما لى اليه حاجه ، وأن حاجته الي لغير مقضيه قال : فرجع اليه الرسول فأخبره ، فقال : أرجع اليه فقل : انما أريد ان اكلمك ولا تحركه فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال له سعيد ما قاله له أولا ، فقال له الرسول : لولا أن تقدّم (٣) اليّ فيك ما ذهبت اليه الاّ برأسك ، يرسل اليك أمير المؤمنين يكلمك فتقول مثل هذه المقاله ؟ فقال : ان كان يريد يصنع بي خيراً فهو لك ، وأن كان يريد بي غير ذلك ، فلا أحل حبوتي (٤) حتى يقضي ما هو قاض ، فأتاه فأخبره فقال ، رحم الله أبا محمد ، أبي الاّ الصلابة .(٥)

ثانيا : أما موقفه من الوليد فتبينه الرواية الآتية :

روى عن عمران بن عبد الله الخزاعي ، قال : ((لما أستخلف الوليد بن عبد الملك قدم المدينه ، فدخل المسجد ، فرأى شيخاً قد أجتمع عليه الناس ،فقال : من هذا ؟

---

(١) — الطبقات الكبرى : ٥/ ٩٥ وما بعدها .
(٢) — يحركه : أي يزعجه ، كذا يفهم من النهاية : أنظر " النهاية : ٤/ ٢٦٠ " .
(٣) — لا تقدّم إلي : أي أمرني ، أنظر المصباح : ٢/ ٧٥٦ .
(٤) — ((حبوتي)) : الأحتباء : جمع الظهر والساقين بثوب أو غيره .
(٥) — الطبقات الكبرى : ٥/ ٩٥ — ٩٦ .

فقالوا : سعيد بن المسيّب ، فلما جلس أرسل اليه ، فأتاه الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال لعلّك أخطأت بأسمي ، أو لعله أرسلك الى غيري ، قال : فأتاه الرسول فأخبره ، فغضب وهمّ به .

قال : وفي الناس يومئذ بقية فأقبل عليه جلساؤه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين فقيه أهل المدينه ، وشيخ قريش ، وصديق أبيك ، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه فمازالوا به حتى أضرب عنه)) . (١)

وهناك رواية أخرى عن صالح بن كيسان قال : لما كان قدوم الوليد بن عبد الملك الى المدينة المنوره ، أمر عمر بن عبد العزيز بن مروان أمير المدينة آنذاك عشرين رجلا من قريش بالخروج معه إلى السويدا ،(٢) للترحيب بالوليد وأستقباله ، فلما دخل الوليد المدينه زار المسجد النبوي الشريف ليرى بنائه ، بعد أن أُمِرَ النَّاسُ بالخروج منه ولم يبقى فيه الاّ أبن المسيّب ظل في مصلاة الذى أعتاده ولم يغيره على الرغم مما قاله بعض النَّاسِ له : لو قمت من مكانك هذا ، أو سلمت على أمير المؤمنين ، فقال : والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي أقوم فيه ، ولا أقوم إلى أمير المؤمنين .

ولما دخل الوليد المسجد كان عمر بن عبد العزيز يعدل به مخافة أن يرى سعيد حتى يحين الوقت الذى يقوم فيه ولكن حصلت من الوليد نظرة في أتجاه القبلة فقال : من ذاك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيّب ؟ فقال عمر : نعم ياأمير المؤمنين وكان يصف حاله ويثني عليه ويقول : لو علم بك لقام وسلم عليك ، ولكنه ضعيف البصر، قال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه ، فدار الوليد في المسجد حتى وقف على قبر الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، ثم أقبل حتي وقف على سعيد بن المسيّب فسلم عليه وقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فو الله ما تحرك سعيد ولا قام ، فقال:

---

(١) — الطبقات الكبرى : ٥/٩٦ .

(٢) — " السويدا " : مكان على بعد ليلتين من المدينه ، على طريق الشام، أنظر : ((مراصد الاطلاع)) : ٢/٧٥٨ .

بخـير والحمد للـه ، فكيف حال أمير المؤمنين ، قال الوليد : خير والحمد لله ،ثم أنصرف وهو يقـول لعمر هذه بقيـة الناس ، فقال عمر : نعم يا أمير المؤمنين . (١)

ومع أن الطابع المميز الذى كانت تتسم به علاقة الامام وبني مروان هو الجفوة والبـرود والأستخفاف وعدم الود والرضـا ، الاّ أن الامام لم يتعرض لهم بالخصام ولا يشتمهم بل يعفو عن اسـاءتهم ، ولا يقـول فيهم إلاّ خيراً ، وكان يصفح عن كل من أساء اليه من خلفـاء بني أميـة من بني مروان ، قال عبد الرحمن بن حرملـه : ((ما سمعت سعيد بن المسـيّب سـب أحـداً من الأئمـه)). (٢)

وفي خلافـة الوليـد بن عبد الملك غضب على هشـام بن إسماعيل : الذي كان والياً للمدينه سـابقا ، وكتب إلى أمير المدينـة آنذاك عمـر بن عبد العزيز بأن يقبـض على هشـام ويوقفـه للنّاس ، فمن كانت لـه مظلمـه عنـده أخذهـا ، وكان لهشـام هذا موقف لا ينسى مع الامـام سـعيد حيث كان قـد ضـربه خمسـين سـوطا ، والبسـه ثياب من الشـعر وأوقفه في السوق ومع ذلك لما حانت فرصـه القصـاص قال سعيد بن المسيّب لأبنه وذويه أتركوا هذا الرجـل للـه وللرحـم ، ولا يتعرض أحـد منكم لـه ، وهذا الموقف الفريـد من سعيد بن المسـيّب يعتبر من أنبـل المواقف واشرفهـا . (٣)

واذا كان الطابع المميز لموقف الإمام وعلاقته مع بني مـروان يتسم بالبرود والجفاء وعـدم الرضـا ، فإن هذه العلاقـه لم تكن على وجـه الإطلاق ، فقد ثبت تاريخيا أن العلاقة التي كانت بين ابن المسيّب وعمر بن عبد العزيز بن مروان تتسم بالود والإحترام المتبادل والثقـة المطلقـه وقد كان عمر بن عبد العزيز من أشهر تلاميذ الإمام سعيد بن المسيّب ، وقد كان الامام يثني عليه حتى لقبـه " بالمهدي " لما كان يتوسم فيه من الصلاح والتقوى ، وكان عمر يستشـير الامام في كل أمر يعـنّ لـه ولا يقضي قضاءً حتى يأخـذ رأيه فيه .

---

(١) ــ أنظـر : تاريخ الطبرى : ٦/٤٦٦ ، والكامل : ٤/٢٢٧ .
(٢) ــ حلية الأولياء : ٢/١٦٢ .
(٣) ــ البدايه والنهايه : ٩/٧١ .

ومن المعروف أن أبن المسيّب كان لا يأتي الخلفاء ولا الولاة والأمراء ولا يغشى مجالسهم ولكنه كان يأتي عمر بن عبد العزيز وهو أمير للمدينه المنوره .

والخلاصة أن الإمام كان اذا سئل عن هؤلاء القوم من بني مروان قال : أقول فيهم ما قولني ربي : ((ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا)). (١)

==========

(١) — سورة الحشر ، آية : ١٠ .

ثامنا : محنته

ولقد تعرض الامام سعيد بن المسيّب لما تعرض له أمثاله من العلماء قديماً وحديثاً ، من الأبتلاء والأمتحان ، من قبل الخلفاء والحكام ، فقد حاول الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بما وهبه الله من دهاء ومكر أن يداهن سيد التابعين ليجره الى صفه ، لذلك نراه يبدئ رغبته بمصاهرته فيطلب منه يد ابنته الفقيهه العابده لأبنه الوليد بن عبد الملك ، ولكن الامام يرفض هذه المصاهره لأنها ليست خالصه ولا يراد بها وجه الله ليزوجها لأحد طلبة العلم الفقراء عنده لأنه أطمأن الى دينه وخلقه .

وهكذا فقد بقي عبد الملك يتحسين الفرص والمناسبات ليتقرب الى أبن المسيّب، فقدم له المال وأغراه بالعطايا والهبات ، وألمح له بالمنصب والجاه ، ليصرفه عن موقفه هذا ، إلاّ إن شيئاً من هذا لم يغير موقف الامام ابن المسيّب الثابت ، اذ كلما حاول عبد الملك التماس قرباً أو كسب وداً من الامام سعيد كان الصدود والأعراض نصيبه وبقي انكار أبن المسيّب المعلن والصريح لتصرفات عبد الملك وأفعاله ، وقد دعي أبن المسيّب الى نيف وثلاثين ألفاً ليأخذها فقال : ((لا حاجة لي فيها ولا في بني مروان حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم)). (١)

ولذلك فان دهاء عبد الملك وحيله وتزلفه لم يعمل شيئاً لأصطناع سعيد والتقرب اليه وانما زاده صلابةً وابتعاداً ، وحينما عجز عبد الملك ولم ينفعه مكره ، فكانت البداية لمحنة سعيد بن المسيّب وقد عُرِفَ سعيد بما يجره عليه أعراضه وصدوده هذا من النكبات والأمتحان ، ولكنه صبر وأحتسب كل ما لقيه وعاناه من التعذيب والاهانات عند القوى العزيز . (٢)

---

(١) ــ الطبقات الكبرى : ٥/١٢٧ .

(٢) ــ الاسلام بين العلماء والحكام : ص ١٣٤ .

وبدأت محن سعيد بن المسيّب ، عندما طلب مسلم بن عقبة منه البيعة ليزيد بن معاويه فرفض الامام وأمتنع عن مبايعته وذلك لسوء سيرته وعدم صلاحيته لخلافة الأمة ، ولأن الامام سعيد وغيره من علماء عصره يرون أن في مبايعته عون له على ظلم الناس .

وقد تمسك الامام بهذا الرأي في صلابة وثبات وكاد أن ينال بسببه ضرب عنقه بالسيف ، الاّ أن الله سخر له من أنقذه .

فقد روى أن مروان بن الحكم وعمر بن عثمان عندما أمتنع أبن المسيّب عن المبايعة ليزيد أمر مسلم بضرب عنقه ، فشهدا أنه مجنون فخلى سبيله .

وهكذا تتابعت المحن والنكبات على الامام سعيد وهو يزداد مع تلك المصائب صلابة وثبات وصبر وقوة تحمل ، ولما خرج عبد الله بن الزبير في عهد عبد الملك بن مروان طلب من واليه على المدينه : جابر بن الأسود بن عوف الزهري بأخذ البيعة من أهل المدينة ، وكان فيمن طلبت منه البيعة لأبن الزبير الامام سعيد ، الاّ أنه أمتنع عن البيعه حتى تجتمع عليه الأمة ، فجلده جابر بن الأسود ستين سوطا .

ولم تكن هذه نهاية امتحان الامام سعيد بن المسيّب ، فقد بدأ امتحانه العسير في عهد عبد الملك بن مروان عندما أراد البيعة لأبنيه الوليد وسليمان ، فطلب من والي المدينة أخذ البيعة لهما من أهلها ، وعندما أُتي بأبن المسيّب ليبايع أمتنع لوجود نص شرعي يحفظ للإمام مضمونه لا يجب البيعة لأثنين ولا تجب في حياة الخليفه لأن البيعة في حياة الخليفة غير ملزمة للأمه بل لا بد من أختيارها . (١)

فما كان من والي المدينه هشام بن اسماعيل الاّ أن هدده بالقتل ، فلمّا رأى أنه لا يثنيه هذا التهديد عن رأيه وموقفه الصلب ، جلده خمسين سوطاً ، وفي رواية مائة سوطا وأُوقفه في السوق للنّاسِ بعد أن البسه تيان من الشعر ، ولذلك قال الامام سعيد

---

(١) ـ الطبقات الكبرى : ٥/١٢٢ .

((اللهم أنصرني من هشام)) فتلك دعوة مظلوم ودعوة المظلوم كما قال الصادق المصدوق ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس دونها حجاب ، وقد استجاب الله دعوته فما هي ؟ الا ليالي حتي زال سلطان هشام ومن ولاه ، فليحذر الحكام اليوم الذين يظلمون العلماء والشعوب . (١)

ولقد سبق أن ذكرنا في بداية الكلام عن محنته أن عبد الملك حاول أن يستميله الى صفه ، فأنتهز كل الفرص المتاحة ، ولكن دون فائده اذ قد عجز عبد الملك وباءت خططه التي حاول بها جرّ أبن المسيّب الى صفه بالفشل .

مع العلم بأن الامام سعيد بن المسيّب كان يعلم ما يجلبه له هذا الرفض والامتناع عن كل ما عرضه عليه عبد الملك بن مروان وطلبه منه من الأمتحان والأذى ، غير أنه لم يبالي بذلك في سبيل البعد عن علاقة صداقه ومصاهره لم يقصد بها رضا الله ، ناهيك عن الأنغماس في الأهواء والشهوات الفاسقه التي لم تتعود عليها نفس سعيد الطاهره ، لهذا فقد عاش الامام سعيد بن المسيّب حياة ملئة بالنشاط والحركه مستحناً في دينه ومحاسب في عقيدته ومستهدف فيها ، ومع ذلك كان كل ما يتعرض له من الأذى لا يزيده الاّ اصراراً وصلابة ويزيده ايمانا ويقينا بالحق وأنه معه ، ومادام الحق معه فان الأنتصار في النهايه على الظلم وأصحابه يكون للحق .

فرحم الله أبن المسيّب ـ ورضي عنه ـ لقاء ما جاد بنفسه وجاهه وماله وراحته في سبيل الحق واقامة العدل والدفاع عن الاسلام ومبادئه وسلامة تعاليمه فجزاه الله خير ما يجزئ به العلماء الصابرين . (١)

---

(١) ـ أنظر : الاسلام بين العلماء والحكام : ص ١٣٧ وما بعدها .

تاسعا : شهادة أهل العلم وتزكيتهم له

اجمع العلماء المسلمون من المعاصرين لأبن المسيّب والذين جاءوا بعد عصره من التابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمه والعلماء ، على جلاله منزلة الامام وفضله وتقدمه عليهم في العلم والفقه والاجتهاد ، والجرأة في الفتوى ، فشهدوا له بالورع والتقوى والصلابة في الحق .

وقالوا عنه كان عابدا زاهدا ، عرضت له الدنيا فأباها وأختار حياة الزهد والتقشف رغبة فيما عند الله من الثواب وتأسياً بالرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — وصحبه الكرام — رضوان الله عليهم — : ولهذا فقد رويت عن الامام كثيراً من الآثار التي يتضح فيها مكانته وعلو منزلته واليك بعض من هذه الروايات :

عن قدامه بن موسى قال : ((كان سعيد بن المسيّب يفتي والصحابة أحياء)).(١)

ومعلوماً أنه لا يصل أحد الى هذه المنزله إلاّ بعد أن يكتمل علمه وينضج فكره ، وأبن المسيّب كان كذلك .

وعن أبن عمر — رضي الله عنهما — قال : ((سعيد بن المسيّب : هو — والله — أحد المفتين)).(٢)

وهذه الشهاده من صحابي جليل لها صداها وتأثيرها في رفعة شأن سعيد وغزارة علمه .

وروى عن مالك : ((أن القاسم بن محمد سأله رجل عن شيء ، فقال : أسألت أحد غيري ؟ قال : نعم : عروة بن الزبير ، وفلان .... وسعيد بن المسيّب ، فقال : أطع أبن المسيّب فانه سيدنا وعالمنا)).(٣)

---

(١) — سير اعلام النبلاء : ٤/١٩٣ .
(٢) — تاريخ الاسلام : ٤/٥ ، وسير أعلام النبلاء : ٤/١٩٣ .
(٣) — تاريخ الاسلام : ٤/٥ ، طبقات الفقهاء : ص ٥٨ .

وهذا الأعتراف من واحد من أجلّ فقهاء التابعين يعطي دلالة قاطعه على مكانة أبن المسيّب وفضله على معاصريه ، ولذلك قال سليمان بن موسى عنه : ((كان أفقه التابعين)). (١)

وقد سئل مكحول والزهري : ((من أفقه من أدركتما ؟ فقالا : سعيد بن المسيّب)). (٢)

ومما يدل على غزارة علم أبن المسيّب وخصوبة معرفته وألمامه بعلم من سبقوه أنه كان كبار العلماء المشهود لهم بالعلم والفضل كالحسن يرجعون إلى الإمام سعيد في فهم بعض المسائل .

فقد روى عن قتادة أنه قال : ((ما جمعت علم الحسن - البصري - الى علم أحد من العلماء الاّ وجدت له عليه فضلا ، غير أنه كان اذا أشكل عليه شيء كتب الى سعيد بن المسيّب يسأله)). (٣)

وقال عنه قتادة أيضاً : ((ما رأيت أعلم بالحلال والحرام منه)).

وقال مكحول فقيه الشام : ((طفت الأرض كلها في طلب العلم ، فما لقيت أحدا أعلم من سعيد بن المسيّب ، وقال أيضا : ((سعيد بن المسيّب عالم العلماء)) (٤)

وهكذا فقد عرف الأئمه قدر أبن المسيّب ومكانته العلمية في كل فنون العلم والمعرفه فقد قال عنه الشافعي : ((إرسال سعيد بن المسيّب عندنا حسن)). (٥)

وقال الأمام أحمد بن حنبل عنه : ((مرسلات سعيد عندنا صحاح ، وقال أيضا : ((سعيد أفضل التابعين)). (٦)

---

(١) - الجرح والتعديل : ٢ / ٦٠ ، تهذيب التهذيب : ٤ / ٨٥ .
(٢) - الجرح والتعديل : ٢ / ٦١ ، وفيات الأعيان : ٢ / ١١٧ .
(٣) - مرآة الجنان : ١ / ١٨٥ ، وتذكره الحفاظ : ١ / ٥٥ .
(٤) - تاريخ الذهبي : ٤ / ٥ ، طبقات ابن سعد : ٥ / ١٢١ .
(٥) - البدايه والنهايه : ٩ / ١٠٠ ، ومقدمة ابن الصلاح : ص ٤٩ .
(٦) - مقدمة ابن الصلاح : ص ٢٧٤ ، البدايه والنهايه : الصفحه السابقه .

وقال مالك عنه :((بلغني أن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – كان يرسل إلى ابن المسيّب يسأله عن بعض شأن عمر وأمره ، وكان يقال له راوية عمر لأنه كان يتبع أقضية عمر ويتعلمها)). (١)

وقال عنه الذهبي : ((هو الامام شيخ الاسلام ، فقيه المدينه ، وأجلّ التابعين ، كان واسع العلم ، وافر الحرمة له مهابة – ، متين الدين ، قولاً بالحق ، فقيه النفس ، وقال عنه أيضاً : عالم المدينة بلا مدافعه)). (٢)

==========

---

(١) – تهذيب التهذيب : ٤/ ٨٦ ، وتاريخ الذهبي : ٤/ ٥ .
(٢) – تذكره الحفاظ : ١/ ٥٤ ، تاريخ الذهبي : ٤/ ٤ .

ـــ((الخاتمـــــه))ـــ

****

أحمد الله الذى مكـــنني من استظهار ســيرة الامام ســعيد بن المسيّب الخالـــده ، والتعرف على مآثر ذلك الفقيه العابد الورع الذى كان علمـا من أعلام الفكر الاســـلامي ، فلقـــد كنت شـــديد الحرص وأنا أبحث في كتب التراجم والسير وعموم المصادر والمراجـــع التي تحمل تاريخ ابن المسيّب وعلمـه ، وآثاره ، ولما كنت أجد لـه من الخصائص والمواقف الانسانية المجيده ، التي تجعل من سيرة الامام قدوة حسنـة في كل سماتة وخصائصه إن في طلب العلم والالمام بـه أو في تعليمـه أو نشر الاسلام بين الناس والغيرة على تعاليمـه أن تمس بأذى ، وكذلك في عبادتـه وزهـده وتدينـه وفي جهاده ودعوتـه الى اللـــــــه ناهيك عن ما كان يعرف عنـه ـــ رضي اللـه عنـه ـــ من الصلابـة في الحق والاجتهـــاد الفقهي ، وغير ذلك من المآثر والمواقف النبيلـه التي تضمنتها سيرة الامام سعيد بن المسيّب والتي تحدد بوضوح أحوال عصرا من العصور عن طريق استلهام سيرة عالم من العلمـــاء أفضل من التعرف على ذلك عن طريق سيره ملك أو حاكم .

ولهذا فلا بد من ذكر أهم نتائج البحث على النحو الآتي :ـ

** ـــ النتيجة الأولي : من استنطاق تاريخ الامام سعيد نجد أنـه كان أول من وضـــع أسس الفقـه الاسلامي .

** ـــ النتيجة الثانيه : أن المتقصي لحياة الامام العلميه يجده قد ضرب المثل الرائع في الصبر والتحمل في مجال البحث والتحصيل العلمي .

** ـــ النتيجة الثالثه : مجاهدة النفس وكبح جماحها والأعتصام عن المعاصي والـــزلل والوقوف في وجـه كل من لا يعبأ بتعاليم الاسلام وســننـه حتى ولو كان من الخلفاء والحكـام .

** ـ النتيجة الرابعه : أن الفضل بعد الله يعود للامام في نقل وتثبيت العلوم الاسلاميه المشتمله على علوم القرآن الكريم والسنة المطهرة وآثار الصحابه وأقضيتهم ، ولقد كان رائداً في مجال الأجتهاد والفتيا في نطاق نصوص الحديث النبوى أو بالرأي والقياس الصحيح وفق ما أستجد في عصره من المسائل والقضايا .

** ـ النتيجة الخامسة : ان سعيد بن المسيّب قد سن لنفسه وللدعاة والعلماء من بعده من المهابة والحرمة والمكانة عند الحكام والولاة وأيضا عند عامة الناس وذلك بأستعفافه وزهده عمّا في أيديهم ، فكان لا يقبل من أحد هبة أو عطية حتى ما كان يقدم له من بيت المال كحق له يرفضه ، ويفضل العيش من كسب يده وما يأتيه من التجاره في الزيت وغيره .

** ـ النتيجة السادسة : أن من مآثر الامام سعيد تفضيله التواضع والقيم الأخلاقيه على الجاه والمناصب الرفيعه ورضاه بالعيش في زمرة الفقراء والمساكين قتداء بسنة الرسول الاعظم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحبه للزهد في الدنيا حتى لا يفكر بشيء من متاعها الزائل الذى يصرفه عن طاعة الله وعبادته ، لذلك رفض مصاهرة الخليفه لخوفه مما تجرّه عليه هذه المصاهره من المفاسد وفسوق الأعمال والأبتعاد عن عبادة الله ودعوته وهو من قال :

((حضور صلاة الجمعة خير عندى من حجة نافله)).

** ـ النتيجة السابعة : إن الامام كان يخاف من اللّه خوفاً شديداً مما جعله شديد الحرص على التعبد لله والتقرب اليه بصالح الأعمال والنوافل حتى أنه حج أربعين حجه وكان يصوم الدهر ويقوم الليّل للصلاة والتهجد ويؤثر عنه أنه كان يصلي الغداة بوضوء العتمة ، وحرص على صلاة الجماعة وفي مكان واحد خلف الامام

وقيل انه كان يقول : ما أذنّ منذُ أربعين أو ثلاثين سنه الاّ وأنا في المسجد . ولهذا نرى أن أبن المسيّب لورعه وتدينه وعلمه الغزير بما أوجبه الله على العبيد وإيمانه الراسخ كان يشعر دائماً بالامان لكونه من أولياء الله " ألاّ إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " . (١)

** ـ النتيجة الثامنه : ومن الأشياء المهمة في سيرته التي تلفت النظر وتجعل للامام مكانة خاصه أنه كان عزيز النفس صلباً في قول الحق ذا جلالة وهيبه في عيون الناس عامه والحكام خاصه ، فقد كان لعزة نفسه لا يغشي مجالس الخلفاء والأمراء والولاة ، يعرض عنه الجبارون من الخلفاء والولاة ويأتية الخلفاء للسلام عليه مع رفضه المجيء الى احد منهم مع أنه كان منهم من يطلبه ويحرص على مقابلته غير أنه كان يرفض .

** ـ النتيجة التاسعة : مع أن ابن المسيب كان اماما في التفسير والحديث والفقه والاجتهاد كان كذلك إماماً في تأويل وتفسير الرؤيا وعلى علم بالتاريخ الجاهلي وعلم الانساب والأدب العربي ، وقد روى عنه أنه كان يتذوق سماع الشعر ولا يقوله .

** ـ النتيجة العاشره : ومن خلال استطلاع سيرة الامام سعيد والتعرف على جوانب شخصيته وآثاره الفقهيه وآراءه الاجتهاديه ظهر لي بجلاء أن أئمة المذاهب الفقهيه المتداوله بين أهل السنه والجماعة من المسلمين ، كان منبعها وأصلها يرجع الى اجتهادات الصحابة ، وكبار التابعين وعلى رأسهم الامام سعيد بن المسيّب .

** ـ النتيجة الاحدى عشرة: أن من الأمور التي تميزت بها شخصية ابن المسيّب قوة تحمله وصبره الذي لا يتزعزع ولا تلين له همة رغم ما تعرض له من المواقف

---

(١) ـ سورة يونس : الآيه : ٦٢ .

المرعبه والأمتحان والأذى من الخلفاء الأمويين والولاة ، فمن تلك المصائب التي واجهته : الأمر بقتله أو التهديد بضرب عنقه بالسيف من قبل مسلم بن عقبه المرى قائد جيش يزيد بن معاويه يوم موقعة الحرّة .

ومنها أيضا ضربه مائه أو خمسين سوطاً من قبل والي المدينه في عهد عبد الملك بن مروان ، وتلبيسه التبان وثياب الشعر الغليظه وإيقافه في السوق للتشهير به أمام الناس .

وهكذا توالت على الامام المحن والمصاعب في خلافة بني مروان حتى أنه قد سجن وعرضت رقبته للسيوف فلم يزده هذا التهديد والرعب الاّ اصراراً وقوة تحمل وصلابة وثبات على رأيه لأنه قد تعرض لكل ما ذكر بسبب رفضه البيعه للوليد وسليمان أبني عبد الملك لكون هذه البيعة غير موافقة لتعاليم الاسلام وقد كان الامام سعيد لا يتراجع عن ما يراه حقا ويعتقده مهما كانت النتائج .

وكان الامام قد تعرض للجلد ستين سوطاً من قبل والي ابن الزبير على المدينه المنوره بسبب رفضه البيعة له أيام خروج عبد الله بن الزبير على الدولة الأموية وطلبه الحق في الخلافه .

** ـ النتيجة الأثنتا عشرة : بما أن التركيز في هذه الدراسه عن سعيد بن المسيّب كان منصب على دوره في الدعوة الى اللّه باعتبارها المحور الرئيسي لهذا البحث المتواضع ، ولذلك فإن من النتائج المهمة أن كل مواقف الامام وعلمه الغزير وحكمته ومواعظه وفتياه وعبادته وجهاده وتعففه وغيرته على الاسلام وحرصه الشديد على تطبيق تعاليمه وما كان عليه من الورع والزهد والتواضع والسماحة وما خلّفه من الآثار العلميه كل هذا كان له الدور العظيم في دعوته الى دين الاسلام .

ولكن الشيء الملاحظ في هذا العصر أن الحضارة الحديثه وما فيها من المظاهر البراقه التي قد صرفت أهتمام أبناء الأمة ـ الاّ من رحم ربك وقليل ما هم ـ الى الانبهار بهذه الحضارة التي فصلت الأمة عن ماضيها وتراثها ، وسيرة السلف ومواقفهم الخالده التي هي كفيلة بزرع الثقة في نفوس الأجيال وتعريفهم على تاريخهم المجيد ، ولهذا فلا بد أن تبحث الأمة الاسلاميه عن أصالتها لتستقل بشخصيتها المتميزه التى اصبحت الآن ذائبة أو كادت أن تذوب مع التيارات والمفاهيم الفكريه من الغرب والشرق على حد سواء ، ولكي يتم هذا يجب أن تهتم الجامعات في العالم الاسلامي ، والعلماء وطلبة العلم في تلك الجامعات باحياء سيرة السلف وتاريخهم واعطاء ذلك من العناية والأهتمام ما يستحقه ليتحقق للأمة أستلهام سيرة رجال الاسلام وعظماء الفكر فيه ، وأستنطاق آثارهم وعلمهم وإستظهار مواقفهم ونشر هذا التراث في أجيال الأمة حاضراً ومستقبلاً ليتم التفاعل معه ليصبح حيّاً في واقع الأمة وسلوكها ، لا سيما وقد كانت مآثر هؤلاء الأفذاذ من السلف وتاريخ سيرتهم مرآة عاكسه لتاريخ الاسلام وتراثه ومبادئه الساميه .

ولا شك أن سعيد بن المسيّب كان من عظماء الفكر الاسلامي وعمالقته ، والمقدم على كبار علماء التابعين زمن أكثرهم تعرضا للأذى والامتحان .

فرحمه الله ورضي عنه لقاء ما قدم للاسلام والمسلمين من خدمة للدين والعلم والجهاد دونه .

والحمد لله الذى بنعمته قد تم هذا البحث !!!!!!

(((فهـــرس)))
******

المراجـــع والمصـــــادر

أولا : مراجـع عامـــه :

(١) ــ القـرآن الكـريم كتاب الله عز وجـــل .

أ) ــ تفسير ابن كثير ــ مطبعة دار المعرفه للطباعـه ــ بيروت .

ب) ــ تفسير البغوى ــ ((لأبي محمد الحسين الفراء البغوى))
الناشر : دار الفكر ، لبنـان ــ بيروت .

جـ) ــ تفسير الطبرى : ((لأبي جعفر بن جرير الطـــــبرى))
الناشـر : دار المعارف ــ مصـر .

د) ــ تفسير القرطبى : ((لأبي عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي))
الناشر : دار الكاتب العربي ــ القاهره .

(٢) ــ احياء علوم الدين ((لأبي حامد محمد بن محمد الغزالـى))
الناشر : دار المعرفه ، لبنـان ، بيروت .

(٣) ــ ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول ((لمحمد بن على بن محمـد الشـوكاني)) الناشر : مطبعة مصطفى الحلبي ــ مصر .

(٤) ــ أعلام الموقعين ((لأبن القـيم))
الناشـر : مطبعة السعاده ــ مصـر .

(٥) ــ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ــ ((لأبن عبد البـــــر))
الناشـر : المطبعة الملكيـه ــ الرباط .

(٦) ــ السـنه قبل التدوين ــ ((لمحمد عجـاج الخطيـب)) .
الناشـر : مكتبـه وهبـه ــ شارع الجمهوريه بعابدين ــ مصـر .

(٧) ــ الحديث والمحدثون : ((لمحمد بن أبو زهـو)) من علماء الأزهر الشريف .
الناشـر : مطبعة مصـــر .

(٨) ــ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب السـته ((للذهبي)) .
الناشـر : دار النصـر ــ مصـر .

(٩) ــ المغني لأبن قدامـه المكنى بأبي محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامه
الناشـر : مكتبة القاهره ــ مصـر .

(١٠) ــ الفكر السامي ((لمحمد بن الحسن الحجـوى الثعالبي القاسي))
الناشر : المكتبه العلمية بالمدينة المنوره لمحمد نمنكاني .
(١١) ــ بداية المجتهد ــ ((لأبن رشـــد الحفيد أبو الوليد محمد بن احمـد))
الناشر : مطبعة مصطفى الحلبي
(١٢) ــ تدريب الراوى شرح تقريب النووى ((للسـيوطي)) وعليه تعليقات الاستاذ :
عبد الوهاب عبد اللطيف .
الناشر : المكتبة العلميه بالمدينة المنوره .
(١٣) ــ تنوير الحوالك ((شرح موطأ الامام مالك)) للامام جلال الدين عبد الرحمن
السيوطي الشافعي .
الناشر : دار الكتب العربية ــ مصـر .
(١٤) ــ تلبيس ابليس ــ ((للامام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجـــوزى
البغدادى)) ــ المتوفي سنة ٥٩٧ هـ .
الناشر : ادارة الطباعة المنيريه .
(١٥) ــ تهذيب الأسماء واللغات ــ ((لأبي زكريـا محي الدين بن شرف النووى))
المتوفي سنة " ٦٧٦ " هـ .
الناشر : ادارة الطباعة المنيريه .
(١٦) ــ تيسير التحرير ((لمحمد أمين المعروف بأمير شاه الحسيني الحنفي))
الناشر : مطبعة البابي الحلبي بمصـر .
(١٧) ــ سبل السلام ، للصنعاني .
الناشر : مطبعة البابي الحلبي ــ مصـر .
(١٨) ــ سنن الترمذى .
الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت .
(١٩) ــ صحيح البخارى ((لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخـارى))
الناشر : مؤسسة المطبوعات الاسلاميه ــ ميدان الجامع الأزهر ــ القاهره .
(٢٠) ــ صحيح مسلم ((للامام أبي الحسـين مسلم بن الحجاج القشـيرى النيسابورى))
الناشر : دار احياء الكتب العربية للبابي الحلبي ــ مصـر .

(٢١) ـ صيد الخاطر ((للامام ابن الجوزى)) .
الناشر : دار الفكـــر ـ دمشـــق .
(٢٢) ـ غاية النهاية في طبقات القراء ((لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزرى))
الناشر: مكتبة الخانجي ـ بمصر سنة ١٣٥١هـ .
(٢٣) ـ كتاب الأم للامام الشافعي .
الناشر : دار المعرفه للطباعة ـ بيروت .
(٢٤) ـ مسـند أوســنن أبي داود .
الناشر : دار المعرفه ـ لبنان ـ بيروت .
(٢٥) ـ مسند الامام احمد بن حنبل .
الناشر : المكتب الاسلامي للطباعة والنشـر .
(٢٦) ـ معرفة علوم الحديث ((للسيد محمد ندا)) .
الناشر : دار الكتب المصـريه .
(٢٧) ـ مقدمـة ((ابن الصـلاح)) .
الناشر : مطبعة حلب ـ ونشر بالمدينـة المنوره .
(٢٨) ـ نقد العلم والعلماء أو تلبيس ابليس ((لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى))
الناشر : مطبعة السعاده بجوار محافـظ مصر .
(٢٩) ـ نيل الأوطار ((للشوكاني)) .
الناشر : المطبعة المصرية .

==========

ثانيا : المصادر الخاصه :

(١) ــ اعلام المسلمين ((سعيد بن المسيّب سيد التابعين))
دكتور/ وهبه الزحيلي ــ مطبعة دار القلم ــ دمشق .
(٢) ــ اسباب النزول ((لأبي الحسن على بن احمد الواحدى النيسايورى))
الناشر : مطبعة مصطفى اليابي الحلبي ــ مصر .
(٣) ــ الأتقان في علوم القرآن ((للامام جلال الدين السيوطي الشافعي))
الناشر : طبع بالمطبعة الأزهريه ــ على نفقة اصحابها ــ بمصر .
(٤) ــ الاسلام بين العلماء والحكام ــ لعبد العزيز البدرى .
منشورات المكتبه العلميه لصاحبها : محمد نمنكاني ــ المدينة المنوره .
(٥) ــ الاصابة في تميز الصحابه ((لابن حجر العسقلاني)) .
الناشر : مطبعة مصطفى محمد .
(٦) ــ الامامة والسياسه ((للامام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه))
طبع على نفقه محمود الكتبي بجوار الأزهر ــ مصر .
(٧) ــ الأنباه على قبائل الرواه ((لابن عبد البر)) .
الناشر : مطبعة السعاده ــ مصر .
(٨) ــ التاريخ الكبير ((للامام البخارى)) .
الناشر : مطبعة دار المعارف العثمانيه .
(٩) ــ الترغيب والترهيب ((للامام الحافظ زكي الدين المنذرى عبد العظيم بن عبد القوى))
الناشر : دار احياء التراث العربي ــ لبنان ــ بيروت .
(١٠)ــ التحفه اللطيفه ((لشمس الدين السخاوى)) .
الناشر : عني بطبعه ونشره ــ أسعد طبرايزوني الحسيني .
(١١)ــ الحور العين ((لأبي سعيد نشوان الحميرى)) .
الناشر : مطبعة السعادة ــ مصر .
(١٢)ــ الدر المنثور ((للامام جلال الدين السيوطي))
الناشر : محمد أمين دمج ــ لبنان ــ بيروت .
(١٣)ــ الطبقات الكبرى ((لأبن سعد)) .
الناشر : دار صادر للطباعة والنشر ــ بيروت .

(١٤) ـ الطبقات الكبرى ((للشعراني)) .
الناشر : مطبعة الحلبي بمصر .
(١٥) ـ العبر ((لمؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي)) تحقيق د / صلاح الدين المنجد .
الناشر : ادارة المطبوعات والنشر في الكويت .
(١٦) ـ الفهرست لأبن النديم .
الناشر : مطبعة الاستقامة بمصر .
(١٧) ـ القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم .
((لأبن عبد البر)) .
الناشر : مطبعة السعادة ـ مصر .
(١٨) ـ الكامل ((لأبن الأثير الجزرى))
الناشر : دار الطباعه المنيريه لصاحبها محمد منير الدمشقي .
(١٩) ـ المختصر في أخبار البشر ((تاريخ ابن الوردي))
الناشر : مطبعة دار المعرفه ـ بيروت ـ لبنان .
(٢٠) ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ((لأحمد بن محمد بن على المقرى الفيومي))
الناشر : المطبعة الأميريه ـ مصر .
(٢١) ـ المعارف ((لأبن قتيبة)).
الناشر : دار الكتب المصرية .
(٢٢) ـ تاريخ ابن خلدون ((لعبد الرحمن بن خلدون المغربي)) .
الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان .
(٢٣) ـ تاريخ الاسلام السياسي ((لحسن ابراهيم حسن)) .
الناشر : مطبعة الحلبي ـ مصر .
(٢٤) ـ تاريخ الأمم الاسلاميه ((للشيخ محمد الخضرى))
الناشر : مطبعة الأستقامه ـ القاهره .
(٢٥) ـ تاريخ التشريع الاسلامي ((لمحمد الخضرى))
الناشر : مطبعة السعاده ـ مصر .
(٢٦) ـ تاريخ الخلفاء ((لجلال الدين السيوطي)) .
الناشر : الطباعه المنيريه لمحمد منير الدمشقي .

(٢٧) — تاريخ الذهبي ((لشمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي))
الناشر : مكتبة القدسي — بمصر .
(٢٨) — تاريخ الطبرى المسمى بتاريخ الرسل والملوك .
((لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى))
الناشر : دار المعارف بمصر .
(٢٩) — تاريخ الفقه الاسلامي ((لمحمد على السايس)) .
الناشر : مطبعة محمد على صبح وأولاده .
(٣٠) — تذكره الحفاظ ((لشمس الدين الذهبي))
الناشر : طبعة دائره المعارف العثمانيه بالهند .
(٣١) — تقريب التهذيب ((لأبن حجر العسقلاني))
الناشر : طبع ونشر بالمدينه .
(٣٢) — تهذيب التهذيب ((لأبن حجر العسقلاني)) الطبعة الاولي .
الناشر : الهند .
(٣٣) — جمهرة أنساب العرب ((لأبي محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي))
الناشر : دار المعارف بمصر .
(٣٤) — حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ((لأبي نعيم الأصفهاني))
الناشر : دار الكتاب العربي - لبنان — بيروت .
(٣٥) — سير أعلام النبلاء ((لمحمد بن عثمان الذهبي))
الناشر : مطبعة دار المعارف بمصر .
(٣٦) — شجرة النور الزكيه ((لمحمد بن محمد مخلوف))
الناشر : المطبعة السلفية وكتبتها .
(٣٧) — شذرات الذهب في أخبار من ذهب ((للعماد الحنبلى))
الناشر : مكتبة دار العروبه — مصر .
(٣٨) — شفاء الغليل لحجة الاسلام الغزالى ((أبو حامد محمد بن محمد)) .
(٣٩) — صفة الصفوة ((لأبي الفرج ابن الجوزى)) .
الناشر : طبع بالهند .
(٤٠) — طبقات الفقهاء ((لأبي اسحاق الشيرازى)) .
الناشر : طبع ببغداد .

(٤١) ــ فتح الباقي شرح الفيــة العراقي للشيخ ((زكريا بن محمد بن احمد الانصارى)) .
الناشر : المطبعة الجديده بفــاس.

(٤٢) ــ فقه الامام ((سعيد بن المسيّب)) للدكتور/ هاشم جميل .
الناشر : نشر في العراق .

(٤٣) ــ لسان العرب : ((لأبن منظور)) جمال الدين محمد بن مكرم .
الناشر : دار صياد ودار بيروت ــ لبنان .

(٤٤) ــ مرآة الجنان وغبرة اليقظان ((لعبد اللــه اليمني المكي)) .
الناشر : مطبعة الاعلمــي ــ بيروت .

(٤٥) ــ مراصد الاطلاع ((لصفي الدين عبد المؤمن البغدادى)) .
الناشر : دار احياء الكتب العربيــة لليابي الحلبي وشركاه .

(٤٦) ــ مشاهير علماء الأمصــار ((لمحمد بن حيان اليمني)) .
الناشر : طبع في القاهــره .

(٤٧) ــ معجم قبائل العرب القديمــة والحديثــه ((لعمر رضا كحّالــه))
الناشر : دار العلم للملايين ــ لبنان ــ بيروت .

(٤٨) ــ نسب قريــش ((لأبي عبد اللــه بن المصعب الزبيرى)) .
الناشر : دار المعارف للطباعــه والنشر بمصــر .

(٤٩) ــ نظرة عامــه في تاريخ الفقــه الاسلامي ((لعلي بن حسن عبد القادر)) .
الناشر : مطبعة السعاده ــ مصــر .

(٥٠) ــ وفيات الأعيان ((لأبي العباس ابن خلكان)) .
الناشر : طبعــة فى بيروت .

(٥١) ــ المجموع شرح المهذب وتكملتــه ــ النووى والتكملــه للسبكي .
((تقي الدين ابو الحسن على بن عبد الكافي)) .
الناشر : المطبعه المنيريه .

(٥٢) ــ تيسير علوم الحديث ((دكتور/ السيد محمد ندا)) .
الناشر : دار الطباعــه المحمديه .

(٥٣) ــ معرفه علوم الحديث والحكــم .
الناشر : مطبعة دار الكتب المصــريه .

==========

(((الفهرس)))

****

الموضوع		رقم الصفحه
** ـ تمهيد	١	٣
** ـ المقدمه	٤	١٣
** ـ الفصل الأول : أحوال عصره	١٤	١٦
** ـ الحالة السياسية	١٧	٢١
** ـ الحالة الاقتصاديه	٢٢	٢٤
** ـ الحالة الاجتماعيه	٢٥	٢٧
** ـ الفصل الثاني : حياته وشخصيته :		
** ـ أولا : حياته	٢٨	٢٨
** ـ نسبه	٢٨	٢٨
** ـ نشأته	٢٩	٣١
** ـ ولادته	٣١	٣٢
** ـ وفاته	٣٢	٣٥
** ـ ثانيا : شخصيته :	٣٦	٣٧
** ـ عبادته	٣٧	٤٥
** ـ اخلاقه ومظهره	٤٥	٤٩
** ـ زهده وطلبه للعلم	٤٩	٥٤
** ـ عزة نفسه	٥٥	٥٦
** ـ موارد رزقه	٥٧	٥٨
** ـ رأيه في الفقر والغني	٥٨	

الموضوع	رقم الصفحه

** ـ الفصل الثالث : دعوتـــه : .....

** ـ منهجه واجتهاده ودوره في الدعوه ٦٦ ٧١

** ـ مجالسه العلميه ٧٢ ٩٨

** ـ العلوم التي كان له أثر فيها ٩٩ ١٠٠

** ـ فيتاه ، ودعوته ، وأحتسابه ١٠١ ١٠٥

** ـ تفسيره للرؤيـــا ١٠٦ ١٠٨

** ـ ثباته على الحق وصلابتـــه ١٠٩ ١٠٩

** ـ مواقفه السياسيه مع الحكام ١١٠ ١١٣

** ـ موقفه من البيعـــه ١١٣ ١١٦

** ـ مواقفه مع بني مروان ١١٨ ١٢٢

** ـ محنتـــه ١٢٣ ١٢٥

** ـ شهاده أهل العلم فيـــه ١٢٦ ١٢٨

** ـ الخاتمـــه ١٢٩ ١٣٣

** ـ المصادر والمراجع ١٣٤ ١٤٠

** ـ الفهـــرس ١٤١ ١٤٢

==========